وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵏ ⵓⵙⴳⵎⵉ ⴰⵏⴰⵎⵓⵔ ⴷ ⵓⵙⵎⵓⵜⵜⴳ ⴰⵣⵣⵓⵍⴰⵏ

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
Département de Langue et littérature Arabes

جامعة مولود معمري – تيزي– وزو
كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة العربية وآدابها
الرقم.....\.....\2019
رقم الترتيب:
الرقم التسلسلي:

مذكّرة لنيل شهادة الماستر

الميدان: اللّغة والأدب العربي

الفرع: دراسات أدبية

التّخصّص: أدب جزائري

عنوان المذكرة:

المثقّف والسّلطة في رواية "مصحة فرانز فانون" لـ–عبد العزيز غرمول–

مقاربة نقدية ثقافية

إعداد الطالبة:

– شريفة حميس

إشراف أ/د:

– زهية طراحة

أعضاء لجنة المناقشة:

1– د. نصيرة عشي: أستاذة محاضرة أ، جامعة مولود معمري تيزي وزو..... رئيسا.

2– د. زهية طراحة: أستاذة محاضرة أ، جامعة مولود معمري تيزي وزو..... مشرفة ومقرّرة.

3– د. سامية داودي: أستاذة محاضرة أ، جامعة مولود معمري تيزي وزو..... ممتحنا.

السنة الجامعية: 2018–2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهــداء

*أوّلا:

أهدي ثمرة جهدي إلى والدي العزيزين وإلى إخوتي و أخواتي.

وإلى جميع الأصدقاء والزّملاء في قسم اللّغة العربية وآدابها.

*ثانيا:

أهدي عملي هذا إلى كل مثقّف جزائري مات برصاصة قيل عنها طائشة!!!.

✍شريفة.

مقدمة

مقدمة:

تتواتر شخصية المثقّف وإشكالية السّلطة والعلاقة بينهما في الواقع وفي الأعمال الأدبيَّة العالميّة والجزائريّة.

تناول الأدباء جدليَّة العلاقة بين المثقّف والسّلطة في الجزائر ودور كل واحد منهما في تقديم نفسه، وإثبات ذاته قصد فرض مكانته. يلعب المُثقّف أحيانا دور الفرد الذي يخدم مجتمعه، يتكلَّم بلسانه سواءً كان منخرطا فيه أم لا، وقد يتحوّل المثقّف من خادم لمجتمعه ومعارض للسَّلطة إلى عميل لها، وكثيرا ما تلعب السَّلطة دور الأب الرَّاعي فتوهمنا بالسَّهر على تنظيم شؤون العامَّة وهي في الحقيقة تخدم مصالحها.

وعلى إثر هذا وقع اختيارنا –لدراسة إشكاليَّة المثقّف وواقع السّلطة وطبيعة علاقة الواحد إزاء الآخر في الجزائر–على رواية "**مصحة فرانز فانون**" للروائي "**عبد العزيز غرمول**" التي نُشرت **سنة 2015** وجعلناها أنموذجا لبحثنا، وذلك لأن الرّوائي يُظهر لنا من خلالها حالة المثقّف الجزائري وواقع السّلطة، ولأنّه أيضا استعان في عنوان روايته باسم الطبيب النّفساني والمثقّف والمناضل والمارتينيكي **فرانز فانون** الذي ساند الشّعوب المضطهدة. أثارت في نفوسنا هذه الأسباب فضول الإطّلاع على مضمون الرّواية ودراسة تفاصيلها. والسّؤال الذي شغلني وشغل في حقيقة الأمر دارسين آخرين هو: كيف يطرح المتخيّل السردي فاعلية المثقّف والسّلطة؟ سؤال تندرج ضمنه التّساؤلات التالية:

–ما مفهوم المثقّف وما هي مكانته في المجتمع؟

–ما مفهوم السّلطة وكيف هي علاقتها بالمجتمع؟

–فيما تتمثل هموم المثقّف وما هي معوّقات السّلطة؟

-كيف هي العلاقة بين المثقّف والسّلطة؟

-يمكننا أن نفترض أن المثقَّف من واجبه أن يكشف ويعالج قضايا العصر ويوقظ وعي المجتمع للنّهوض به ومواجهة السّلطة المتسلّطة.

وللتّأكّد من صحّة هذه الفرضيّة سنستعين بالنّظريات النّقدية الثَّقافية لأنّها الأنْسب لذلك، خاصّة وأنّها تعنى كثيرا بقضايا المثقَّف والمجتمع والسّلطة (السّياسية).

وحتّى يتسنّى لنا دراسة الموضوع دراسة علمية، نبدأ بحثنا بمقدمة نعرض فيها فكرة عامة عن الموضوع، يليها فصل نظري يحمل عنوان: المثقّف والسّلطة مفاهيم نظرية: يحوي هذا الفصل مبحثان، نخُصّ الأوَّل لعرض مفهوم المثقّف، وعلاقة المثقَّف بالمجتمع، وهموم المثقف. أما المبحث الثاني تناولنا فيه مفهوم السَلطة وعلاقة السَلطة بالمجتمع، وعلاقة المثقَف بالسّلطة.

يليه الفصل التّطبيقي بعنوان: المثقّف والسّلطة من خلال رواية " **مصحة فرانز فانون**"، يندرج ضمنه مبحثان، عرضنا في المبحث الأوّل المثقّف في المجتمع الجزائري في الرّواية، وهموم المثقّف الجزائري، كما قاربنا بين شخص "**فرانز فانون**" وشخصيَّة "**نذير جزايري**". وفي المبحث الثاني تحدَثنا عن السَلطة السَياسية والمجتمع الجزائري في الرّواية، ومعضلات السّلطة، وجدليَة المثقَف الجزائري والسَلطة. وأنهينا دراستنا بخاتمة سجَلنا فيها نتائج بحثنا.

واعتمدنا في بحثنا هذا على بعض المصادر والمراجع ذات الصَلة بالموضوع منها: كتاب "**معذبو الأرض**" لـ"فرانز فانون"، وكتاب "**خيانة المثقفين**" لـ "إدوارد سعيد"، و"**المثقف والسلطة**" لـ"محمد شيخ"، و"سوسيولوجيا المثقفين" لـ"جيرار لكلرك"، و"**المعرفة والسلطة**" **لـ**"ميشيل فوكو".

وفي الأخير أتوجَه بخالص الشَكر وعميق التَقدير إلى أستاذتي المشرفة التي تعهّدت هذا العمل بالتَصويب في كلّ مراحل إنجازه.

أتمنى أن يكون بحثنا مرجعا يستفيد منه كلّ من يتصفّحه، والله وليّ التوفيق.

شريفة حميس

2019-06-28

الإمضاء

الفصل الأوّل:

المثقّف والسّلطة مفاهيم نظريّة.

المبحث الأول: المثقف

ارتبط مفهوم مصطلح المثقَف بالسّلطة منذ القدم. المثقَف فرد من أفراد المجتمع، هو جزء منه يحي فيه ويحي المجتمع به، أما السَلطة فهي التي تسهر على تسيير وتنظيم هذا المجتمع، بفرض قوانين وقرارات، في كثير من الأحيان تخدم مصالحها وليس مصالح المجتمع، لذا يظهر المثقَف لإيقاظ الوعي في قومه، وينشر أفكار الحرية للتَحرر من الذَل والعبودية.

فمن هو هذا المثقَف وما هو دوره؟ وما هي مكانته في المجتمع، وما هي همومه؟

1-مفهوم المثقف

إن تعدَد تعاريف كلمة ثقافة سواء من النَاحية اللَغوية أو الاصطلاحية، وما تحمله الكلمة من دلالات ومضامين متنوعة، يجعل تحديدنا لمصطلح المثقَف له عدَة مفاهيم مختلفة لاختلاف تعريفاته من لغة إلى أخرى.

نجد مصطلح مثقَف لغة في معجم ابن منظور من أصل كلمة «ثَقِفَ، ثَقْفٌ، ثَقِفَ الشَّيْءَ ثَقْفًا وثِقَافًا وثُقُوفه: حَذِقه، وَرَجُلٌ ثَقْفٌ، ثَقِفٌ، حَاذِقُ فَهِمٌ، وأَتْبَعُوهُ فَقَالُوا ثَقْفٌ لَقْفٌ، وقال أبو زياد: رَجُلٌ ثَقْفٌ رَامٍ، رَاوٍ. رَجُلٌ ثَقْفٌ لَقْفٌ وثَقِفٌ لَقِفَ، وثَقِيفٌ لَقِيفٌ بين الثقافة والقافة، وثَقِفَ الشَّيْءَ وهو سرعة التعلم، ونقول وهو غُلَامٌ لَقِنٌ ثَقِفٌ أي ذو فِطْنَةٍ وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه»[1] من خلال التَعريف اللَغوي يتَضح لنا أن المثقَف هو الشخص الحذق، الذكي، الفطن.

[1]- ابن منظور، **لسان العرب**، ط1، لبنان: 1990، دار صادر، مجلد التاسع، ص 19.

أمَا في اللَغة الإنجليزية نجد كلمة «n intellect (in-ti-lekt) بمعنى فكر ذهن، عقل (بخلاف الشَعور والغرائز).

فكري.ذهني.عقلي يجتاز لإعمال العقل.

n. Intellectual شخص مفكر أو مثقَف»[1].

وفي اللَغة الفرنسية ذُكرت كلمة مثقَف في معجم لالاند الشهير Intellectuel وكانت تُحيل إلى مذهب l'intellectualisme . يقول أندريد لالاند: «هناك دائما تقريبا معنى قدحي مرتبط بالاستعمال السَلبي الذي استعملت به كلمة Intellectuel أيضا في المناقشات السَياسية، إن استعمال هذه الكلمة، أي كلمة (مثقَف)، لا يمكن أن يفهم إلا ضمن السياق العام للمواقف المتَخذة إزاء قضيَة دريفوس.»[2] فمن هو دريفوس وما علاقته بمصطلح مثقَف؟

ألفريد دريفوسALFRED DREYFUS ضابط فرنسي برتبة قبطان أدانته إحدى المحاكم الفرنسيَة بتهمة تسريب معلومات عسكريَة إلى ألمانيا العدوَّة التقليدية لفرنسا، في البداية صدّق الجميع أنَها قضيَة تجسَس وخيانة استحق مقترفها الإهانة أمام الجميع، فنُفي إلى إحدى الجزر. يقول أحد الذين تحمَلوا مسؤولية هامَة في محاكمته «ليست هناك قضيَة اسمها قضيَة دريفوس، إلاَ أن تعقد الوضع الاجتماعي الفرنسي آنذاك من جهة، وغياب أدَلة كافية تثبت تورَط هذا القبطان»[3]. فانقسم الشَعب إلى مؤيَد لقضيَة دريفوس ومعارض لها حاول أصدقاء دريفوس إسقاط التَهمة عنه.

---

[1]– جويس هوكنز وآخرون، **قاموس أكسفورد المحيط**، إنجليزي–عربي ت ح عمر الأيوبي وآخرون.ج.ط، بيروت: 2003، أكاديميا إنترناشيونال، ص 548.

[2]– محمد الشيخ، **المثقّف والسّلطة**، ط1، بيروت: 1991، دار الطليعة، ص17.

[3]– المرجع نفسه، ص16.

يعتبر **إميل زولا** أوَل من ساند "دريفوس" «بالخصوص من خلال رسالته إلى رئيس الجمهورية بتاريخ 13 كانون الثاني (يناير) 1898 المُعنونة (إنَي اتَهم) والتَي يَدين فيها الإجحافات والتَدليسات والجرائم القضائية للقيادة العليا للْجيش»[1]. حاول **إميل زولا** تبرئة **دريفوس** ومعاقبة المُجرمين، فكانت لردَة فعله هذه نتائج غيَرت الأوضاع في فرنسا وفي كلَ العالم حيث كانت «لمكانتة الثقافية في الوسط الاجتماعي صدى، إذ نزل الأدباء والمفكَرون الفرنسيون إلى حلبة الصَراع، إلى السَاحة العموميَة... وهنا ظهر أوَل بيان في تاريخ الفكر الغربي يوقَعه جماعة من رجال الأدب والفكر تسمَي نفسها جماعة المثقَفين... وقَعت البيان أسماء كبرى كإ**ميل زولا، وأناتول فرانس ومارسيل بروست وليون بلوم**، ويعدَ هذا البيان شهادة ميلاد المثقَف»[2] إذًا يعتبر هذا التصرّف دليلا على فطنة أصحابه ووعيهم بضرورة الدّفاع عن المظلوم ومعاقبة الظَالم، فالمثقَف إذن هو «الشَخص المتعلّم الذي يمتلك طموحا سياسيَا للوصول إلى مراكز صنع القرار السَياسي، أو مِن خلال دوره المحوري الحاسم في توجيه المجتمع عن طريق التَأثير على القرارات السَياسية الهَامة التي تؤثّر في المجتمع ككلّ»[(3)]. فالمثقّف عليه أن يكون واعيًا وملتزمًا اجتماعيا، أي أن يكون إلى جانب مجتمعه ويكون هو لسانه، يعبّر عمّا يشغلهم ويدافع عنهم، تجده في الصفوف الأولى حتَى يُظهر الحقيقة التَي تغطَيها الأيادي العليا القامعة لها، من خلال أعمال فكرية تؤثر في النّاس والمجتمع فكريا وثقافيا.

---

[1]– محمد الشيخ، **المثقّف والسّلطة**، ص 18.

[2]– المرجع نفسه، ص17.

[3]– إدوارد سعيد، **خيانة المثقفين**، تر: أسعد الحسين، دمشق: 2011، دار نينوى، ص38.

يقول إدوارد سعيدّ: «المثقّفون الحقيقيون لا يكونون أبدًا في أفضل حالاتهم النفسيَة إلاّ عندما تحرّكهم عاطفة ميتافيزيقيَة ومبادئ الحق والعدل النّزيهة، فيُشجَبون الفساد، ويدافعون عن الضَعيف، ويتحدّون السّلطة المعيوبة أو القمعية»[1]. فالشّخص المثقّف يتبنىَ قضيَة يُؤمن بها ويُدافع عنها قصد تحقيق منفعة الجماعة فهو «إنسان بضاعته أفكار، سواء كانت تلك الأفكار من إبداعه هو أم كانت منقولة، ولكنّه آمن بها إيمانا أقنعه بأن يحياها، ثم لا يقتصر على أن يحياها هو بشخصه، بل يريد أن يُقنع بها الآخرين ليحيوها معه. ومن الأرجح أن تكون هذه الأفكار من الصّنف الذي يغيّر النّاس نحو ما يظنّ أنّه الأفضل»[2].

لهذا قيل عن المثقّف أنّه إنسان فضولي يكون ملمّا بكلّ الأمور والانشغالات والهموم التي تخصّ الإنسان والكون والفرد والمجتمع. يكون المثقّف الذي يعيش في مجتمع ما يُعبّر ويُدافع أكثر من المثقّف الذي يكون خارج هذا المجتمع، فالأوّل يعيش ويُحسّ ويشعر بما يشعر به أفراد ذلك المجتمع، عكس المثقّف الذَي يتحدّث عن قضايا هو لم يعش لحظات بين الأفراد الذين يعانون منها.

لكن السّؤال الذي يشغل بالنا: هل كلّ النّاس مثقّفين، وكيف نميّزهم؟

للإجابة على هذا السّؤال نعود إلى فكر الفيلسوف والمناضل الإيطالي (أنطونيو غرامشي (1891–1937) الذي قضى عمره القصير في التّفكير والنّضال من أجل مجتمعه الإيطالي، وبما أننّا نُؤمن بفكر هؤلاء المناضلين الكبار ورأينا في فكر غرامشي نموذجا لمناضل عرف كيف يطرح قضايا الثورة في بلاده.

---

[1]– إدوارد سعيد، **صور المثقف، محاضرات ريث**، سوريا: 1993، دار نينوى، ص 23.

[2]– زكي نجيب محمود، **هموم المثقفين**، ط1. لبنان: 1981، دار الشروق، ص 11.

استندنا إلى تصنيف هؤلاء المفكَرين للمثقف حيث «يظهر إمكانية تصنيف الذين يؤدون الوظيفة الفكريَة في المجتمع إلى نوعين، يضمَ أوّلهما المثقّفين التَقليديين مثل المعلّمين، رجال الدّين، والإداريين، ممّن يواصلون أداء العمل نفسه من جيل إلى جيل، ويشمل ثانيهما المثقَفين العضويين، الَذين اعتبرهم غرامشي مرتبطين على نحو مباشر بمؤسَسات تجاريَة تستخدم المثقَفين لتنظيم المصالح واكتساب المزيد من القوَة، وزيادة السَيطرة»[1].

فالمثقَفون التَقليديون في نظره لا يغيّرون شيئا، ويُؤدَون نفس العمل فهم قليل النّشاط «المثقّف التَقليدي على علاقة غير مباشرة بالمؤسسات»[2]، كما أنّ المثقّف التَقليدي في نظر غرامشي من «المعلّمين، الكهنة، الذين يبدون وكأنّهم باقون في أماكنهم، يؤدّون نوع العمل ذاته عاما بعد عام»[3].

أمّا النّوع الثّاني ألا وهو المثقّفين العضويين وهم الفئة التي يقول عنها غرامشي أنّها فئة نشيطة، دائمة الحركة، فإذا كان المثقف التقَليدي غير مؤسساتي فالمثقف العضوي مؤسساتي «المثقف العضوي هو إنسان يحاول في مجتمع ديمقراطي، كسب موافقة الزّبائن ونيل الاستحسان، وتوجيه رأي المستهلك أو النّاخب، وكان غرامشي مؤمنا بأن المثقَفين العضويين يُشاركون في المجتمع بنشاط، أي أنّهم يُناضلون باستمرار لتغيير الآراء وتوسيع الأسواق. والمثقفون العضويون هم دائمو التنقّل، دائمو التّشكّل»[4]. يرى غرامشي أنّ كلّ المثقَفين الَذين يعملون في المُؤسَسات، كالتَقني الصَناعي، والاختصاصي في الاقتصاد... والَذين تستخدمهم المؤسَسات التَجارية لتنظيم المصالح واكتساب المزيد من القوَة وزيادة

---

[1]– إدوارد سعيد، **صور المثقف**، ص22

[2]– المرجع نفسه، ص233.

[3]– المرجع نفسه، ص22.

[4]– المرجع نفسه، ص22.

السيطرة، إنّما هم يناضلون من أجل النّهوض بالمجتمع وترقية طبقاته، وتحسين أجهزة الدّولة، وقمع القوانين الظالمة.

«ففي ساحات الاحتجاج المدني تتقلّص المسافة بين النَخب الثَقافية والنّاس الاعتياديين إلى حدّ التَلاشي أحيانا... يترك المثقف، مؤقتا، معتكفه الإبداعي إلى الشارع ليتعلم، بقدر ما يبث من أفكار، مما يقوله النّاس، داسا أنفه في ما يعني الوطن والمجتمع ومستقبلهما. وهذا هو فحوى ما نقصده بالوظيفة العضويَة للمثقف»[1]. إذا فالمثقف العضوي ينتمي إلى طبقة فاعلة في المجتمع، فيتدخّل في كلّ ما يخصّ مجتمعه ووطنه.

2-علاقة المثقّف بالمجتمع

حتى يتسنَى لنا تحديد العلاقة بين المثقّف والمجتمع فلا بأس بتقديم مفهوم المجتمع، هذا المصطلح «مشتق من الكلمة اللاّتينية (Societas) بمعنى الشَراكة والكلمة (Socius) بمعنى الشَريك والمجتمع عالم له عاداته الخاصة وأعرافه وطبقاته ومراحل تطوّره يمكن أن يحرّكه اهتمامه الذّاتي، أو روابط الانفعال والتَأثر...وهكذا فللمجتمعات قيمها ومشاعرها التَي توحَدها وصراعاتها التي تفرّقها»[2].

المجتمع هو بنية حيّة من الأفراد يعيشون في رقعة جغرافية معيَنة تجمع بينهم الروابط والقواعد الاجتماعية تُمارس سُلطتها على الأفراد ومن يُخالف هذه القواعد يُعرَض نفسه للعقاب أو السَخط، فما هي مكانة المثقَف في المجتمع؟ وكيف هي علاقته به؟

---

[1]- سعد محمد رحيم، **المثقّف الذي يدسّ أنفه**، ص 179.

[2]- طوني بينيت، **مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع**، تر: سعيد الغانمي، دط، بيروت: 2005، المنظمة العربية للترجمة، ص597.

يرى المفكّر الجزائري مالك بن نبي أنّ «المجتمع ليس مجرّد تجمّع أفراد تجمعهم عادات واحدة، وتُطبّق عليهم نفس القوانين، وبينهم مصالح مشتركة...المجتمع يتحدّد مفهومه في إطار الزّمن...فكلّ تجمّع بشري مكوّن لمجتمع يسعى إلى تحقيق هدف هو إحداث تغيير في ذاته سعيا إلى بناء حضارة»[1].

الأفراد طبقات في المجتمع، طبقة تعتمد أعمالهم على سواعدهم وهؤلاء هم الحرفيون أو العمّال اليدويين، أما أهل الطبقة التي تقوم بعمل عقلي نسيمَهم أهل الفكر أو المثقّفين ويتمثّلون في: المعلّمون، والمحامون، والقضاة، والسَياسيون، ورجال الدَين، والفلاسفة، ...الخ ويكون للطبقة المثقّفة أو الواعية دور هام في بناء المجتمع، يقول المفكّر الإيطالي غرامشي أنّ «الكُتلة البشريَة لن تتميّز ولن تُصبح مستقلّة بفعل ذاتها من دون تنظيم بالمعنى الشَامل، وليس هناك تنظيم بلا مثقّفين»[2]. ومن هنا تتَضح لنا علاقة منتجي الأفكار بالمجتمع، فهم لسانه، والمثقف الحقيقي هو الذي يعطي أهمية للمعرفة، فنجده يُراقب، ويدرس، ويتأمّل، ويُحلّل، ينشغل بالأفكار والقيم ويكون قوّة نضالية في خدمة مجتمعه.

المثقّف الذي يساهم في مجتمعه، ويتكلّم بلسانه، وينوب عنه، إنّما يُسقط أفكاره وتصوّراته، ومطالبه، ورغباته وغاياته، على المجتمع ويعمل على زيادة معارف النّاس وجعلهم أكثر فهما لواقعهم، لأنّه مُطّلع أكثر من غيره من الأفراد لما يدور حولهم، ويكون متعصَبا لرأيه، مُقتنعا بمبدئه، فلا نجد المثقّفين إلاّ وهم واقفون وقفة رجل واحد إزاء فكرة تبنّوها أو آمنوا بحقيقة وجودها وتحقيقها قصد تنوير دربهم والنّهوض بمجتمعهم.

---

[1]– نور الدين بوكروح، **جوهر فكر مالك بن نبي**، دط. الجزائر: 2016، المكتبة الوطنية الجزائرية، ص204.

[2]– جيوفري نويل سميث، وكنتين هور، **غرامشي وقضايا المجتمع المدني**، تر: فاضل جتكر، ط1. سوريا: 1991، دار كنعان، ص233.

يُحمّل الفرد المثقّف مسؤوليَة كبيرة في الحياة الاجتماعية والسَياسية، فهو يَشكّل شريحة متميّزة داخل المجتمع بسلوكه وأفكاره، «هو الفاعل الاجتماعي المتعاطي مع الأفكار التي تخصّ الشّأن العام، والذي يدلي بآراء مصاغة بألمعية حول القضايا الاجتماعية والسَياسية والاقتصادية والثَقافية»[1]. فلا يكفي أن يكون الفرد المثقّف منتميا إلى مجتمع ما دون أن ينخرط فيه وينشغل بما يشغله ويتأثر بما يحدث فيه من أحداث وتغيّرات حتّى يدافع أو ينتج ما يطوّره.

يرى د/ حفناوي بعلـــي أن غرامشي اعتمد معايير تقوم على الوظيفة والمكانة الاجتماعية التي يشغلها المثقَفون في البنية الاجتماعية، ولكل طبقة اجتماعية مثقَفوها الذين يرتبطون بها عضويا وينشرون وعيها وتصوّرها عن العالم[2].

فالفرد المثقف يعبّر عن آماله وتطلّعاته ويعمل جاهدا على أن يبقي المجتمع الذي ينتمي إليه متماسكا ومستقرا.

«لأنّ هذا المثقّف يعلم قبل غيره أنّ المجتمع الذي يُعاني اهتزازا في قيمة الجوهرية الثَابتة، فيُصبح ما هو مُقدّس عند بعض أبنائه هيَنا عند بعضهم الآخر لا يُؤمن تصدّع كيانه وتلاشي وحدته ولو أصاب خطى من التقدّم العلمي والرّفاه الاجتماعي»[3]. فالمثقّف هو الوحيد القادر على إبراز الحقائق بأدلّة، وهو الدّاعي إلى تطهير النفوس وتغيير وجه حياة المجتمعات إلى ما هو أفضل.

---

[1]– سعد محمد رحيم، **المثقف الذي يدسّ أنفه**، ص11.

[2]– ينظر: حفناوي بعلي، **مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن**، منشورات الاختلاف، ط1. سوريا: 2007، ص152.

[3]– مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، الجزائر: 1994، العدد 103، ص06.

أدرج المناضل والطبيب النفساني المارتيتكي "**فرانز فانون**"* في كتابه "**معذبو الأرض**" في فصل "الثّقافة القومية" قولا من خطاب ألقاه الزّعيم السَياسي الإفريقي "سيكاتوري أحمد" في المؤتمر الثّاني للكتاب والفنّانين السَود بروما وذلك سنة 1959 يقول فيه: «ليس يكفي أن تؤدي أغنية ثورية حتى تشارك في الثَورة الإفريقية، وإنّما ينبغي أن تصنع هذه مع الثورة الشعبية ثمّ تأتي الأغاني من تلقاء ذاتها.

من أجل أن تؤثر تأثيرا صادقا، يجب أن تكون أنت نفسك جزءا حيًا من إفريقيا وفكرها، يجب أن تكون عنصرا من عناصر هذه الطَاقة الشَعبية المجنّدة كلّها لتحرير إفريقيا وتقدّمها وسعادتها. ليس هناك أيَ مكان في خارج هذه المعركة، لا للفنّان ولا للمثقّف الذي ليس منخرطا هو نفسه وليس معبأ كلّه مع الشّعب، في المعركة الكُبرى التي تخوضها إفريقيا والإنسانية (المعذّبة)»[1].

لهذا نقول أنّه حتّى الإنسان المستعمر الذي يكتب لشعبه عن الثورة دون أن ينخرط فيها تكون مُشاركته ناقصة غير كاملة، فالمثقّف عليه أن يُشارك في العمل وينخرط في المعركة القوميَة التي يخوضها مُجتمعه جسما وروحا. ويقف وقفة شعبه.

3-هموم المُثقّف

لا تخْلو حياة المثقّف من الهموم والاضطرابات. يكون هدفه محدّدا لكن الطَريق إليه مليء بالعقبات، يقف المثقّف بين طريقين باتجاهين مُتعاكسين ومأزق مزدوج، وظيفة المثقّف وحدها لا تُحدّد مكانته في المجتمع، فحكم الأفراد عنه إيجابا كان أم سلبيا يُؤثر على ذاته، على هويته، على وجوده، فإمّا أن يُعزّ أو يُذلّ، أن يُكرم أو يُهان، أن تعلو مكانته بين النّاس أو أن ينحطّ شأنه، فكلا الحالتين تؤثّران على تفاعله في المجتمع وعلاقته بأفراده وفي بعض

* - ينظر: **نبذة عن حياة** "**فرانز فانون**"، ملحق رقم 03، ص56.

[1]- فرانس فانون، **معذبو الأرض**، دط. الجزائر: 2006، موفم للنشر، ص177.

الأحيان يُفضَل المُثقَف عدم الاحتكاك كثيرا بالناس حتى لا يفقد هيبته أمامهم في هذه الحالة يكون بعيدا عنهم فلا يعبَر عنهم بصدق «لكن الاستجابة لا تتمّ إلاّ إذا تحقق للمثقف شرط الانعزال والتَعالي على النّاس، إذ من شأن الاحتكاك بهم أن يؤدي إلى تطبيع العلاقة ممّا يفقده هيبته التي تكسبه طبيعته كمُثقَف... فأكثر أفراد المُجتمع واقعون تحت وهم أن المَثقف يمتلك في ذاته خصائص تتجاوز ما يملكه الآخرين، ولأنّ الواحد منهم عاجز عن امتلاك ما يمتلكه المثقف، فإن حضوره يرتبط في الغالب بالتَكريم والتَبجيل والتَشريف فقط»[1]. فيعيش كضيف بينهم يُعاملونه فقط بتحفظ فلا يشاركونه مُعاناتهم حق المشاركة.

كما قد يوقع المثقَف نفسه في حيّز غير المرغوب فيه وذلك بسبب تدخّله في كلّ شيء بفرض قناعاته على المجتمع الذي قد لا يوافقه الرّأي «تنقلب الصّورة عندما يحتكَ المثقّف بالنّاس، ويُمارس دوره في تصحيح قناعات المجتمع وقلبها ورفضها، وتعديل الذّهنية السَائدة، هنا يقع في دائرة المرفوض من قبل بعض شرائح المجتمع، فالسّلطة ترفضه وتسجنه أو تنفيه ولا تكفَ عن قمعه وإلصاق تُهم الخيانة به، ورجال الدَين يرفضونه ويرمونه بالكفر والإلحاد والزَندقة، وأفراد المجتمع من عامَة النّاس ، فإنّهم غالبا ما يُضخّمون عيوبه ويحصرونه في دائرة الإدانة»[2].

وهكذا يكون المثقَف دائما متردّدا وخائفا من إبداء رأيه أو التعصّب له، أو أن يكون في الصَفوف الأولى في قضية ما يخوضها المجتمع، لها علاقة بالسَلطة فنجد مثقَفين اختاروا اجترار الكلام والحديث عن الثَقافة العامة.

---

[1]– محمود محمد أملودة، **تمثيلا المثقف في السرد العربي الحديث: الرواية الليبية أنموذجا، دراسة في النقد الثقافي**، الأردن: 2010، ص89.

[2]– المرجع نفسه، ص90.

هذا النَوع «الذي يتقلّب على وفق ما تقتضيه مصالحة الشَخصية... هو نمط لا تخلو منه أوساط ثقافية كثيرة... كذلك الشَخص الذي يطرح خطابا امتثاليا لإرضاء المؤسَسات السَياسية والاجتماعية والدَينية ويُساير ما هو شائع»[1]. وهنا يتجلى في المثقَف تناقض في وعيه وبين انتمائه بالتالي ينبذه مجتمعه.

يحمل المثقَف في رأسه أفكارا، يُؤمن بوجوب إيصالها لغيره قصد المضي قدما في الحياة، لكنّه حين يهمّ في نشرها تصدمه العوائق التي تحول دون ذلك النشر، وقد تكون تلك العوائق من صنع الآخرين أو من صنعه هو حيث لم يستعد لما ينتظره حق الاستعداد، ومن بين هذه المعضلات «محاولته أن يجمع بين طرفين، يكادان يكونان متضادين، في صيغة حياته واحدة، ألا وهما المحافظة على هويّته التاريخية من جهة، والحرص –في الوقت نفسه– على أن يعاصر دنياه»[2]. فإذا رفض المثقف المساهمة في خلق نقاش جاد في القضايا الحساسة التي يهتم لأمرها أفراد مجتمعه يكون قد قلّل من هيبته أمامهم.

لأن المثقف الذي لاّ يتجسّد آلام شعبه لا يستحق لقب المثقف، ويختار حياة التبعية وذلك «بالالتحاق بمزايا البيروقراطية التي أمّنتها السّلطة لكلّ من دافع عن منطقها عبر إمّا مراكز إعلامية، وصحفية وسياسية مرموقة»[(3)]. تضمن لهم العيش تحت حماية السلطة، ويكون بذلك في وضعية حرجة اتجاه العامّة.

لكن هناك نوع من المثقفين يزعمون أنّهم ضدّ السّلطة ضد ما يعرقل المجتمع، يدّعون تنوير عقول النّاس وتحريرها.

---

[1]– سعد محمد رحيم، **المثقف الذي يدس أنفه**، ص6.

[2]– زكي نجيب محمود، **هموم المثقفين**، ص13.

[3]– رضوان زيادة، **المثقف ضد السلطة، حوارات المجتمع المدني في سوريا**، القاهرة، ص62.

لكن الحقيقة أنّ من المثقفين من يسعون فقط وراء النفوذ، تطلّعا إلى الهيمنة والسّيطرة «فالمثقف يدّعي التجرّد والنزاهة، دفاعا عن قضية الأمة ومصالح النّاس، فيما هو يمارس مهنته ويدافع عن مصلحته، أو يلعب لعبة ويجرّب فكرته. إنّه يدعوك إلى التحرّر من سلطة رأس المال، في حين هو يراك رأسماله ويثبت سلطته، ويقول لك إنّ الارتهان لغير الله مذلة أو عبودية، فيما يجعلك أسير كلامه ورهن إرادته»[1]. هكذا اهتزت صورة ومكانة المثقف، إنّه لم يعد يثق بقدرته على تنوير العقول والتأثير في الرأي العام.

كما أنّ هناك نوع من المثقفين الذين لا تعزّ عليهم أنفسهم بالخضوع وخيانة أمانتهم، حيث يرون في تخلِيهم عن مبادئهم التي من شأنها تحرير البلاد من عبودية السلطة المتسلطة حياة ذلّ فيلجئون إلى بلدان أجنبية «لأنّهم يئسوا من وجود فسحة في صحفهم ليفكّروا من خلالها وليعبّروا عن آرائهم، إنّهم يتواصلون عن طريق صحف الغير ويتجادلون، ويثيرون القضايا والمسائل التي تجسّد لهم في هذه الصحف نفسها»[2]. فهم وجدوا في صحف بلاد الغربة حريّة التعبير لم تقدم لهم في وطنهم الأم. لهذا فحياة المثقف لا تخلو من الانتقادات والمطاردة من جميع الأطراف.

[1]–علي حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقّف، ص58.

[2]– رضوان زيادة، المثقف ضد السلطة، ص65.

يُنظر إلى المثقّف بأنّه تابع وداعية «وأصبح المثقف الذي يحسن صنع الأزمات وفبركة المشكلات، بات هو نفسه في أزمة بعد أن تكشّفت المبادئ والنظريات عن عوراتها، في مواجهة الانهيارات والتحوّلات التي شهدها العالم، على غير صعيد، في الواقع والأفكار، أو في النّظم والمؤسسات، وهذا ما جعل المثقف يفقد مصداقيته ويعرى من أسلحته، هذا ما يحدث الآن: فالقيم التي دافع عنها المثقفون تنهار تحت مطرقة الوقائع الغضبى الهازئة من سذاجة الشعارات والمشروعات، الثائرة على عجز البرامج وقصور النظريات»[1].

فبعد أن كان المثقف يركز نقده على السلطات، أصبح هو موضع النّقد، أصبح هو مدار الكلام ومحور الاهتمام.

فقيل عن المثقف العربي حينما قورن بالمثقف الغربي الذي مارس مهنته بامتياز، أنّ المثقف العربي «لم يؤت له أن يلعب الدّور الذي لعبه المثقفون الغربيون منذ فولتير وروسو إلى سارتر وفوكو، أي لم يشارك في صناعة الرأي العام وصوغ الوعي الجماعي أو في التأثير في الدينامية الاجتماعية والسّيرورة التاريخية، كما لم يؤت له أن يمارس الدور الذي كان يمارسه العلماء والفلاسفة في العصر الإسلامي... وبالإجمال لم يستطع هذا المثقف أن ينتزع الاعتراف بمشروعيته، ولم يحقق شيئا ممّا كان يسعى إلى تحقيقه أو يأمل حصوله. بل

الملاحظ أنّه كلما «ازدهرت مهنة المثقف الداعية، تراجعت الأوضاع إلى الوراء، خصوصا على صعيد الحريات»[2]. ولعلّ أفضل دليل على فشل المثقّفين العرب هو طريقة تعاملهم مع قضاياهم ومع الواقع منذ فجر التاريخ.

---

[1]– علي حرب، **أوهام النخبة أو نقد المثقف**، ط3. الدار البيضاء: 2004، المركز الثقافي العربي، ص39.

[2]– المرجع نفسه، ص42.

المبحث الثاني: السّلطة

1-مفهوم السّلطة

وُردت لفظة السّلطة في معجم "ابن منظور" لغة: «سلّط، يُسلِّطُ، سَليط، سُلطان، وهي عند العرب الحجّة والسّليط، سلّطهُ عليه، أمّا سلطان كُلّ شيء فهو شدّته وحدّته وسطوته، قيل من اللّسان السّليط الحديد»[1]. أما في قاموس "أكسفورد" الإنجليزي بلفظة «"Power" بمعنى قوّة، قدرة، اقتدار (على فعل شيء)، نشاط، طاقة»[(2)].

أمّا اصطلاحا: فيقصد بالسّلطة «تنظيم أو هيئة تتكفّل بمهام الدّولة، وممارسة وظائفها بفاعلية باعتبارها جهازا سياسيا يمثل الدّولة في الدّاخل والخارج»[3]. فالسّلطة تقوم بالتأثير باستخدام القوّة على مجموعة من الأفراد أو الجهات من خلال التحكّم في إصدار القرارات النّهائية وفق مجموعة من القواعد القانونية، وتُعرف أيضا بأنّها توجيه سلوك مجموعة من الأشخاص، من خلال التَأثير عليهم وفقا لتطبيقات وأحكام تشريعية تحصل عليها السّلطة بناءً على موقعها في قمة الهرم الإداري.

فالسّلطة إذا لا تقوم إلاّ في جماعة، وباعتبار الفرد سبب وجود المجتمعات وعنصر هام فيها «أولى القانون الدولي عناية خاصة بالفرد، فلا يعني أنّ الفرد يرتقي إلى مرتبة أشخاص المجتمع الدّولي، كما اهتم القانون الدّولي بموضوعات كثيرة من بينها حقوق الإنسان، البيئة، لأن الفرد يتمتع بحقوق ويلتزم بواجبات»[4]. فمن حقوق الفرد أن تضمن له

---

[1]– ابن منظور، **لسان العرب**، ص321.

[2]– جويس هوكنز، جون وستون، جوليا سوانل، **قاموس أكسفورد المحيط إنجليزي–عربي**، تحر عمر الأيوبي وآخرون، دط. بيروت: 2003، أكاديميا إنترناشيونال، ص831.

[3]– عبد الرحمن لحرش، **المجتمع الدولي التطوّر والأشخاص**، دط. الجزائر: 2007، دار العلوم للنشر والتوزيع، ص65.

[4]– المرجع نفسه، ص185.

الدّولة حياة مستقرّة، ومن واجباته عدم تجاوز القوانين والأسس التي سنّتها الدولة، وأن يعيش تحت رعايتها.

وبما أنّ السّلطة لا تقوم إلاّ في جماعة فالسؤال الذي يطرح نفسه في أيّة شروط يُخضع النّاس وعلى أيّة وسائل تستند السّيطرة التي تُخضعهم؟ هذه الإشكالية حاول العالم "ماكس فيبر"[1] الإجابة عليها، فصنّف السّلطة إلى ثلاثة نماذج، يستند النّموذج الأوّل إلى نفوذ (الأمس الأزلي) ويتمثّل في سلطة الأعراف وقداسة الاعتقاد في السلف، أمّا النموذج الثاني، يستند على السّلطة "الكرزماتية" "Charismatique" المبنية على الاعتقاد الانفعالي في قدرات شخص استثنائي بسبب قداسته أو بطولته أو مميزاته المثالية، ويستند النّموذج الثالث على السّلطة القانونية المستمدّة من الاعتراف بمعقولية التشريعات والقوانين.

للسّلطة وظيفة أساسية في التنظيم الاجتماعي للمجتمع فهي القوة الآمرة التي بإمكانها تسيير أنشطة النّاس وقد تعتمد في تأثيرها الإقناع أو الإكراه، ففي علاقتها مع الآخرين فإمّا تخدم مصالحهم أو تستعين بهم لتحقيق مصالحها، ويُرجع "فوكو" مصدر السّلطةٌ إلى الثقافة والعلم، ففي رأيه، كبار العلماء والخبراء والفنّانين يتمتّعون بسلطة يمكنهم بواسطتها التّأثير على سلوك الآخرين، في الجماعة عادة الجميع يطيعون، لأن مخالفة القواعد المقدّسة جريمة، فصاحب السّلطة يبحث دائما أن يعترف به، يأمر ويُطاع، يطلب ويُلبّي وذلك ليضمن بقاء سلطته واستقرارها و استمرارها، حتى وإن كان الحاكم فردا واحدا عاديا من أفراد الشّعب فإنّه بعد ممارسة السّلطة يتولّد لديه إحساس بأنّه مختلف عن أمثاله وأنّه يتمتّع بشيء يميّزه عن غيره من الأفراد، فهذا التّعالي أو الشّعور بالقوّة هو الذّي يولّد فعليا أفرادا متسلّطين يحبّون إصدار الأوامر ولا يقبلون الرّفض، فعند تجاوز هؤلاء الأفراد الحدود التي يمليها

[1]– ينظر: ميشال فوكو، **المعرفة والسّلطة**، عبد العزيز العيادي، ط1. لبنان: 1994، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص45.

عليهم القانون كاستخدام الإرغام أو الإكراه والعنف، لتخضع الفرد والمؤسسات لسلطتها، دون إصغاء لهم، هنا تفقد السّلطة احترامها ووجودها وتدفع بالنّاس إلى التحرّر من قيود هؤلاء والبحث عن من يفهمهم ويراعي متطلباتهم «إنّ النّاس عندما يقبلون على تغيير حكّامهم، إنّما يكون ذلك بمحض الرّغبة والإرادة، أملا في تحسين أحوالهم، وهذه العقيدة هي التي تدفع بهم إلى الثّورة على حكّامهم الذين خدعوهم ولم يوفّوا بوعودهم التي قطعوها على أنفسهم، خاصة إذا أثبتت الأحداث التي مرّ بها ذلك الشعب أنّهم إنّما انتقلوا من حالة سيّئة إلى حالة أسوأ منها»[1]. لذلك نقول أنّه من واجب السّلطة أن تحترم الحقوق الإنسانية وتعرف مالها وما عليها دون التعدّي على حرمة الفرد.

2-السّلطة والمجتمع

وحتى تقوم السّلطة بفرض احترامها يجب أن تمارس الديمقراطية وهذه الكلمة اليونانية والتي تعني حكم الشعب أو سلطة الشعب، فالشّعب هو الذي يحكم نفسه بنفسه، يقول "مالك بن نبي": «لا يمكن أن تتحقق الديمقراطية كفعل سياسي، أي يكون الحكم للشعب، إن لم تكن راسخة في الفرد ابتداءً على مستوى (الأنا) عند ذلك الفرد، في بنى شخصيته، كما لا يمكن أن تتحقق إن لم تكن موجودة في المجتمع كمجموعة من الاتفاقات والعادات، والأعراف، والتقاليد.»[2]. لذلك يقول: «إنّ الشّعور بالديمقراطية ليس ملازما لكلّ الظروف الأخلاقية والاجتماعية... إنّما نتيجة ثقافة، وتتويج لروح إنسانية: بمعنى أنّها نتيجة لتقييم الإنسان على المستوى الشخصي وعلى مستوى الآخرين»[3].

ومثلما أشرنا سابقا أن المثقّف والسّلطة يسيران في خطين متوازيين لا يلتقيان أبدا، لأن من طبيعة المثقّف النّاقد الفكري الذي يسعى إلى البحث ونبش الحقائق واستئصال الحق

---

[1]- نيكولا ميكيافيلي، **الأمير**، 2016، دار المجدد، ص14.

[2]- نور الدين بوكروح، **جوهر فكر مالك بن نبي**، ص235.

[3]- المرجع نفسه، ص235.

وكشف الباطل ونشر الوعي في المجتمع، والسّلطة التي تسعى لحماية مصالحها والحرص على إبقاء هيبتها.

لكن لا نستطيع أن نفصل بينهم فالثالوث متماسك، النّظام والمعرفة والسّلطة. المعرفة في حدّ ذاتها سلطة ولا توجد سلطة دون ثقافة وكلّ ثقافة مرتبطة بسلطة ما، لكن فقط على الفرد أن يعرف كيف يفك هذا الارتباط بين سلطة المعرفة وأشكال الهيمنة الاجتماعية والاقتصادية في جميع المجالات، قصد محاولة مقاومة الهيمنة والاستغلال.

تحدّث مالك بن نبي في كتابه (ميلاد مجتمع) عن الخيانة فيقول: «هناك نوعان من الخيانة تجاه المجتمع، وهما الخيانة التي تدمّر روحه، والخيانة التي تحطّم إمكانيته. الأولى تؤدّي إلى فراغ اجتماعي بتدمير المبادئ والقواسم المشتركة بين الأفراد "l'éthos" وموروثهم الذهني "Eon" وهي العناصر التي تحافظ على التّرابط الاجتماعي الضّروري الذي يسمح للمجتمع بمواصلة نشاطه عبر التاريخ على طريقة متسقة.

أمّا الثانية فتؤدي إلى خلق الفراغ بتوجيه كل الطاقات الإبداعية وكلّ فضائل المجتمع في اتجاه بعيد عن الحقائق وعن الوقائع... وهذان النوعان من الخيانة يفيضان إلى نتيجة واحدة عبر طريقتين مختلفتين، تلك النتيجة هي الفراغ الاجتماعي الذي تغرق فيه روح المجتمع ووسائل حضارة ما»[1].

من هنا يتجلى لنا ما يتعرّض له الفرد داخل مجتمع بلا سلطة.

[1]– نور الدين بوكروح، **جوهر فكر مالك بن نبي**، ص146.

يقول ابن خلدون في مقدّمته أنّ «الآدميين بالطّبيعة الإنسانية يحتاجون في كلّ اجتماع إلى وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض، فلا بدّ أن يكون متغلّبا عليهم بتلك العصبية، وإلاّ لم تتم قدرته على ذلك، وهذا التّغلب هو الملك وهو أمر زائد على الرّئاسة إنّما هي سؤدد وصاحبها متبوع، وليس عليهم قهر في أحكامه»[1].

فكلما تواضع الفرد وخضع للسّلطة، كلّما زادت السّلطة اقتناعا أنّها الأقوى فيخلق هذا الاصطدام بين الطرفين فلا المجتمع يريد الخضوع ولا السّلطة ترغب بالتراجع. «الفرد بمجرّد أن يمارس سلطة على الآخرين فإنّه يشعر بسموّ ذاته وأنّ إرادته تعلو على إرادة الخاضعين... ويطلق على هذه الحالة التي تنتاب الفرد حينما يتولى السّلطة اصطلاحا (الأنا الحكومية)»[2]. يحسّ الفرد بأنّه مختلف عن كلّ النّاس لرفعة مكانته.

وهذا ما تسعى إليه السّلطة بزيادة هيمنتها وفرض استمرارها وجعل الأفراد خاضعين لها.

3- علاقة المثقّف بالسّلطة

كانت علاقة المثقّف بالسّلطة منذ الأزل علاقة مضطربة محفوفة بالمخاطر، فهي علاقة ضدية، طرفها الأوّل السّلطة بمفهومها الإجرائي التنفيذي، وطرفها الثّاني المثقّف الذي يتعرّض لجملة من الإكراهات، التي لها غايات سياسية منها إقصاء دوره بوصفه مرجعية تسهم في تعميق وعي المجتمع في حقبة تاريخية معينة، فإذا نظرنا إلى المثقفين نجد أن لهم حضورا فعّالا في الواقع، يتمثلون في الأدباء، الفلاسفة وكل من له وظيفة فكرية، عقلية، أخلاقية، تحديثية والتي تشكل مرجعية للأفكار السائدة في المجتمع والتي تمارس دورا طليعيا

---

[1]- عبد الرحمن بن محمد بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، ط1. مصر: 2009، ابن جواز للنشر والتوزيع، ص 115.

[2]- ميشال فوكو، المعرفة والسلطة، تر: عبد العزيز العيادي، ط1. لبنان: 1994، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص47.

في ضبط القيم، والممارسات الاجتماعية وتسعى لتطويرها، وتتفاعل مع الوقائع الجديدة، استنادا إلى رؤية متنوعة تقوم على النّقد والتّواصل والتّفاعل.

طالب "**جوليان بوندا**"* المثقّفين بأن يظلّوا على ولاء للأفكار العالمية، الحقيقة والعدالة، واتّهم المثقّفين بالخيانة إذ اقتصر ولاؤهم على أمّة بعينها أو طبقة بعينها أو عنصرا بعينه، فأشاعوا فكرة أنهم متميّزين عن غيرهم، لذا نجد معظم النّاس يبجّلونهم، لكن هم في الحقيقة يشكلون طبقة يطلبون السّلطة لأنفسهم، يسعون إلى تحقيق مصالحهم، فهذا النوع من المثقّفين اختاروا أن يقفوا بجانب السّلطة لخدمة مصالحهم ومصالحها على حساب المجتمع الذي وضع فيهما الثّقة، فيقومان بنهب الموارد الوطنية، ويندفعون إلى الإثراء بالصفقات والسّرقات المشروعة. ونجد في الطرف الآخر مثقّفين اختاروا الصّمت حتى لا يعرّضوا أنفسهم للتّهلكة، والنّوع الثّالث من المثقّفين وهم قلائل لأن السّلطة تطاردهم، هم المقاومون والواقفون في وجه السّلطة والثّائرون عليها وعلى سلطتها المتسّلطة حيث تقوم إمّا بنفيهم أو إسكاتهم بوسائل أخرى مثلما كان الاستعمار يمارس سلطته بكل وسائل القمع والتّعذيب حتى جعلت من هذه الفئة أفرادا لا يثقون بقدراتهم، خلقت فيهم أمراضا نفسية) يعجز الطب النفسي معالجتها، فنفس الطريقة اعتمدتها السّلطات، شلّة المجتمعات وخلّفت شعبا فاشلا، يحيا دون أمل يعيش لينام ويأكل ويعدّ الأيام للقاء ربه.

يرى بيار بورديو Piere Bordieu[1] أن السّلطة والتي نعني بها القوّة والنّزاع مردّها علاقات التّواصل، وهي قدرة على الإقناع وإقرار رؤية عن العالم وتحويلها، ومن ثمة قدرة تحويل التّأثير في العالم، ثم تحويل العالم بذاته، وهذه السّلطة لا تعمل عملها إلا إذا اعترف بها، وتتحدد بفضل علاقة معينة تربط من يمارس السّلطة بمن يخضع لها. والقول أن المثقّف يعيش في جماعة والسّلطة لا تكون إلاّ في جماعة إذا يكون هناك نوع من التّنافس في العلاقة بينهما وإن لم يخضع أحدهما للآخر فتكون نظرة كل واحد منهما للآخر كنظرة الذّئب للمواشي. وتكون رغبة كل واحد منهما الاستيلاء على المناصب والمراتب العليا وفرض نفسه وتحقيق مصلحته.

[1]– ينظر: بيار بورديو، **الرمز والسلطة**، تر: عبد السلام بنعبد العالي، ط3. المغرب: 2007، دار توبقال للنشر والتوزيع، ص45.

الفصل الثاني:

المثقّف والسّلطة من خلال رواية مصحة فرانز فانون.

المبحث الأول: المثقّف في الرّواية

1-المثقّف في المجتمع الجزائري

حتى نتمكن من عرض نظرة المجتمع الجزائري للمثقّف لا بأس من العودة إلى المدوّنة التّي اعتمدتاها في بحثنا ألا وهي رواية "**مصحة فرانز فانون**"* لـ"**عبد العزيز غرمول**"** أين تناول الرّوائي حياة مثقّف (طبيب نفساني) اسمه "**نذير جزا يري**" وهو رمز لكل مثقف جزائري، هذا الطّبيب الذي لا طالما شغل تفكيرَه وطنه وأفراد مجتمعه وهو الذي قال: «حاولت يائسا علاج نفسي من الإدمان في التّفكير فيكم»[1]. وُلد **نذير جزا يري** في أحضان باب الواد وفي فترة زمنية مضطربة اجتماعيا وسياسيا وثقافيا فلا شيء موجود كما يجب أن يكون، وعن الأوضاع السّائدة في تلك الفترة ينقل الرّوائي حرفيّا ما قاله وكتبه **فرانز فانون** في كتابه "معذبو الأرض" في الفصل الثّاني بعنوان "**في العنف**": «أمّا بلدة الأهالي، أمّا الحيّ الذي يحظر على الأوربيين أن يتجوّلوا فيه، فهو مكان سيّء السّمعة يسكنه أناس سيّئو السّمعة، فيه يولد المرء أين كان، وكيف كان، وفيه النّاس يتكدّسون فيه بعضهم فوق البعض، إنّ مدينة المستعمر مدينة جائعة، جائعة إلى الخبز وإلى اللحم، وإلى الفحم، وإلى النّور، مدينة المستعمر مدينة جاثية، مدينة راكعة، مدينة متدحرجة في الوحل»[2] هذه الحالة التّي عبّر عنها كانت تسود الجزائر في مرحلة الاستعمار الفرنسي هي نفسها أو أشد يعيشها الفرد الجزائري تحت وطأة السّلطة السّائدة الحاكمة للبلاد لكن الاختلاف فقط أن الاستعمار السّابق كان أجنبيّا أمّا الاستعمار الحالي (الحاضر) المتمسّك بالسّلطة الأمور هم أبناء

---

* – ينظر: ملخص "رواية مصحة فرانز فانون" لعبد العزيز غرمول، ملحق رقم (01)، ص50.

** – ينظر: نبذة عن حياة المؤلف عبد العزيز غرمول، ملحق رقم (02)، ص54.

[1] – عبد العزيز غرمول، **مصحة فرانز فانون**، الجزائر: 2016، منشورات القرن 21، ص8.

[2] – فرانز فانون، **معذّبوا الأرض**، تتدك شولي، إث علي الكنز، دط. الجزائر: 2007، منتدى سور الأزيكية، ص5.

ملاحظة : ورد خطأ في هذا العنوان فـ "معذّبوا" تُكتب مصحّحة "مُعذّبو".

الوطن، جزائريّون نقطة الاشتراك بينهما هي سياستهم المتّبعة ألا وهي عنف المعاملة، عنف التّسيير.

نجد الفئة المثقّفة تتخبّط في هذه الظّروف التّي تحدّ من قدراتها فتجدها تعيش منعزلة تتتبّع ما يدور من أحداث في مجتمعها يقول الرّوائي:

«يعرج على حانة القبو حيث أصدقائه القدامى لا يزالون دون شكّ يدخّنون أيّامهم بعصبيّة ويأس يلعنون السّياسة التّي نسيتهم في قاع المدينة...»[1] فالفراغ والملل والضّجر أصل أمراضها. يعيش المثقف حالة انفصال واغتراب داخل وطنه فهو لم تُمنح له المكانة التي تسمح بفرض نفسه «كان قد فهم مبكّرا أنّ إنتاج العقل لا قيمة له في مجتمع العمل اليدوي.»[2] قال نذير لوالدته أنّ العيش بهذا البلد يشبه الموت ببطء وقدّم لها مثالا عن الكاتب ألبير كامو وهي لا تعرف حتى من يكون : «ألبير كامو لم يستطع بشهادة ليسانس في الفلسفة أن يحصل في هذا البلد سوى على وظائف من نوع بائع غيار في حانوت أو دلال في مكتب سمسرة أو سكرتيرا في مكتب الأرصاد الجوية بل موظفا متواضعا في دائرة الحالة المدنية»[3]. بعيدا عن مدينته حاول نذير هضم ثقافة المحتل، كأنه يصير من أهلها، يقرأ بلسانهم، ويكتب بلغتهم، و يهتم لمشاكلهم، فنجد كل رفاقه بأسماء مستعارة، أسماء كبار الروائيّين وأبطال الرّوايات العالمية أمثال: مارسو بطل رواية الغريب "لألبير كامو"، هاري بطل رواية لكولن ويلسن، واسم كيشوت بطل رواية دون "كيشوت"، و"كروزو" بطل رواية "روبنسن كروزو" وسمّوه "نذير" نظرا لشكله وأفكاره بـ "غريغوري سامسا".

---

[1]– عبد +العزيز غرمول، **مصحة فرانز فانون**، ص 14.

[2]– المرجع نفسه، ص79.

[3]– المرجع نفسه، ص79.

اختار صديقهم اسم "محمد شكري" وحين سألوه لماذا اختار هذا الاسم؟ « قال ببساطة أنه يفضل العيش في مساكن قذرة مع العاهرات، ويشرب القهوة مع شعراء يرتدون ثياب رثة، ويقترض النقود دائما»[1]. فكلّف الجميع بقراءة الرّواية التي هو بطلها وهكذا دون أن يشعروا وجدوا معنى لوجودهم، يلتقون في «نادى الضّائعين»* كما يسمونه وهكذا هو الحال عندما «تولد في الشوارع الخلفية بعاصمة الجزائر في أواخر القرن العشرين، لا يعتبر ذلك هدية من السّماء. أنت مثل القطّ الذي ولد بين عجلات سيّارة متوقّفة مؤقّتا، مطمئنّا إلى أنّ سقوط قطعة من السّماء لن تكسر رأسك، لكن الخوف من وجودك بين عجلات سيّارة جاهزة للحركة يقض مضجعك. ومثل كل القطط الشّاردة عليك أن تنتظر، لأن أمّك الشّاردة قد لا تعود لإرضاعك، وبالتالي عليك أن تتعلم سياسة القطط حالما تفتح عيناك للنور لترى ما وهبته لك المدينة الشّحيحة من خيارات قليلة للبقاء على قيد الحياة.

دفعت ظروف البلاد المضطربة بأم نذير أن تقدّم له تحويشة* عمرها، لتبعثه بطريقة غير شرعيّة إلى فرنسا ليدرس هناك لأنّ الجزائر في تلك الفترة وإلى يومنا هذا ما زال الفرد المثقّف يعيش خائفا قلقا من الظّلم، من العنف، من الموت غدرا، وذلك لأن قول الحق نهايته الموت أو السّجن أو النّفي كما حدث لكل أصدقاء نذير بعد رحيله.

---

[1]– المرجع نفسه، ص 104.

*–كلمة عامية وتعني بها مال ادخرته (كسبته من عرق جبينها).

*– ينظر رواية: ثرثرة فوق النيل لـ"نجيب محفوظ".

أن تكون في الجزائر، مثقفا (أستاذا أو طالبا أو حتى طبيبا) ذلك لن يساعدك في شيئ، أنت مثل أيّ واحد أو حتى لا أحد. وأفضل دليل من خلال الرّواية عندما ذهب نذير إلى الفندق للقاء وزير الصحة ويُعامل معاملة شخص مجهول بعد طول انتظار: «استقبله موظّف عادي... من أنت...ماذا تُريد ...هل صحيح اتّصلت بك سكرتيرة الوزير... ما اسمها....ما موضوع الاتّصال...وختم أسئلته البوليسية، آسف هذه الأمور تتجاوزني ....عُد غدا صباحا.»[1].

تُعطى الأولوية لأصحاب النّفوذ ولعملاء السّلطة، لمن يُحسن التّلاعب بالكلمات ويلويّ عُنُق الحقائق. فلا نجد اسم صحفي ولا أستاذ ولا شرطيّ أمين، كان نذير يبحث عن نفسه «بقدر ما كان يختبر معلوماته النّفسية حول الكائن الهامشي، بقدر ما كان يكتشف نفسه هامشيا وجاهلا بين مهرّبين وقتلة وهاربين من العدالة، وجواسيس وشُرطة وعُمّال حرفيون .... ومجتمع كامل من المتهوّرين والفاسدين والسّكارى...هذه البهائم تعمل فقط لتعيش»[2].

[1]- عبد العزيز غرمول، **مصحة فرانز فانون**، ص35.

[2]- عبد العزيز غرمول، **مصحة فرانز فانون**، ص164.

2-هموم المثقّف الجزائري

حتى يتمكّن المثقّف من إثبات ذاته، كسب ثقة غيره عليه أن ينخرط في مجتمعه، عليه أن يغوص في الشعب. يقول فرانز فانون على المثقّف أن :«يكتب لشعبه بوصف الماضي ويجب عليه أن يفعل ذلك بغية أن يفتح المستقبل، وأن يعزّز الأمل، ولكنّك لا تستطيع أن تقوّي الأمل وأن تهيب له عمقا وكثافة ما لم تشارك في العمل، ما لم تنخرط في المعركة القوميّة جسما وروحا، إنّ في وسعك أن تتكلم عن أي شيء، ولكن متى قرّرت أن تتكلّم عن فتح الأفق، عن إدخال النّور إلى ديارك، عن وقوفك وقوف شعبك، فقد وجب عليك أن تشارك في المعركة بعضلاتك»[1] لكن مشكلة المثقّف الجزائري اليوم : هل موقفه مهم أم أن وجوده وعدمه سواء؟ لأن المجتمع فقد الثّقة بمثقّفيه لأنّهم يخدمون مصالحهم أكثر من وقوفهم ومساندتهم له، كما أن الإعلام بات يُعرقل مسار المثقّف ويقلّل من هيبته حيث كلّ الحديث يدور حول عدم إنصاف المثقّفين لأفراد مجتمعهم، عدم وقوفهم إلى جانبه عن خيانتهم لوعودهم فنذير في الرّواية وهو رمز كلّ مثقّف جزائري عندما وُجب عليه الوقوف مع مجتمعه عندما تأزّم الوضع، وافق الذهاب بطريقة غير شرعيّة إلى فرنسا وعندما عاد ولاحظ تدهور الأوضاع تمنىّ العودة من حيث أتى، في هذه الحالة المثقّف لم يقف مع مجتمعه فكيف سيحظى بقبوله بينهم؟

بات المثقّف الجزائري عاجزا أمام مجتمعه الواعي وسلطته المتسلطة من إيجاد مكانته فمنهم من اختار الصمت والاختباء وعدم قبول المقاومة والنضال ومنهم من قاوم لكن لم يتوصل إلى نتيجة، كمن يبحث عن شيء لا وجود له، فالتحرر من قيود محكمة التنصيب من عهود صعب تحقيقه ويبقى المثقف الصادق يدافع عن ذاكرة الجزائر وتاريخها يطرد الخوف من نفوس الجزائريين، يوحد الشعب. لأن أزمة البلاد هي أزمة ثقافية واعية في

[1]- فرانز فانون، **معذبو الأرض**، ص 202.

جوهرها، وما الأبعاد الأخرى الاجتماعية، الاقتصادية، السّياسية إلا أعراضا أخرى وانعكاسات لها، وربما أكبر أزمة للمثقف هو الصدام بين الماضي الذي لا يعرف إرهاصاته وبالتالي لا يستطيع خوض معركة فيه وبين حاضر يجهل مرده إلى أين فحتى يتحدث عن فكرة عليه أولا أن يعيدها ويدركها فبطل الرواية عندما استدعي من الصحراء لأمر طارئ يجهل ما هو وما هي عاقبته رفض في البداية إنجاز المهمة لكن وبعد أن أثرت عليه السكرتيرة وتأثر بها وبذكائها وفطنتها قررا انجاز المهمة معا.

وحتى رفاقه المثقفين بدءً بالكولونيل الذي نفي إلى الصحراء أين يدخن أيامه بعصبية ويأس وابن صاحب المكتبة الذي قضى طفولته مختبئا بين صفحات الكتب وطلب من والده أن يبقى إلى جانبه في المكتبة لأن المدرسة في رأيه لا تزيد الإنسان إلا جهلا، كذلك سعيد ابن الجيران الملقب بمارسو وبوعزة الطالب السابق في الإتحاد السوفياتي، وآخرون لم يقاوموا تلك المأساة لم يحركوا ساكنا إنما اختاروا كلهم أسهل طريق وهو في الحقيقة أظلمهم وأخوفهم فطريق حانة القبو طريق لا يحمد عقباه فكل الشلة كبتوا رغباته، آمالهم في نفوسهم وأصبحوا مدمني مخدرات، يتبعون العاهرات ويختبئون في ملاهي ليلية ويقضون النهار نياما. قال نذير في نفسه:«هذا المآل الذي وصل إليه بشر يبدو أن لا مستقبل لهم سوى ظلمات حانة القبو، إنهم هنا يدفنون ذكاءهم وثقافتهم في أرخبيل الكحول والضجيج، يعتاشون على هامش أبعد وأسوأ من الصحراء التي تم نفيه إليها... هؤلاء المجانين يبذرون وقتهم فيما يعتقدون أنه يجعل إحساسهم بالتعاسة والاحتقار أقل غير أن شقاءهم الحقيقي الذي يعانون منه هو شيخوختهم المبكرة في ظلام حانة القبو»[1]. وليس فقط المثقفين الذكور من يعاني في الجزائر كذلك المرأة المثقفة التي عاشت كذبة أنها تفوقت في دراستها لها حقوقها، تستطيع أن تنافس الرجل، لا هي أيضا لم ترحمها قساوة الظروف والأيام، هذه

[1]– عبد العزيز غرمول، **مصحة فرانز فانون**، ص 134.

المرأة "زهية" بدت لنذير امرأة في غاية الخطورة وهي تدعي استعمال العقل، لكنه تأكد أنها نوع نادر في هذا البلاد الذي لا تصل فيه المرأة سن النضج كما يقول الكولونيل حتى تبلغ الخمسين. لتعترف زهية لنذير قائلة: «بعد سنين من دراسة الفلسفة التي أحببتها جاء أبي ذات يوم وقال لي شيخ الجامع قال أن الفلسفة حرام وعليك أن تغيري دراستك أو أبقى في البيت... وكيفما حاولت معه أنا وأمي لم نستطع إقناعه، فالإمام بالنسبة إليه كلامه منزل من السماء»[1] لأن المجتمع كله في السنوات الأخيرة عاد حثيثا إلى الخرافات والسحر والشعوذة والطرقيّة وذلك كله ما هو إلا سياسة انتهجت لإبقاء الشعب نائما حتى لا يعرقل السلطة لتصنيف زهية قائلة إن «ما ساءني أنني بعد تخرجي لم أمارس ولا يوم مهنتي.. كان والدي قد تعب من الخطاب الذين يتراكضون إليه طالبين يدي، وبعد شهر من مناقشة مذكرتي، قال لأمي لم يعد هناك سبب لإطعامها مجانا في هذا البيت»[2]، ثم زوجها بضابط شرطة اغتصبها ليلة زفافها ونعتها بالعاهرة، لم يقدر يوما أنوثتها وفطنتها رزقت منه بولدين، فزهية واقعة بين سلطتين السلطة الأبوية التي حدت من حريتها والسلطة السياسية التي قضت من حلمها.

3- شخص فرانز فانون وشخصيّة نذير جزائري

بدأ الروائي روايته بنص من رسالة استقالة* "فرانز فانون" من منصبه في مستشفى الأمراض العقلية بالبليدة والتي وجهها إلى (الوزير المقيم) روبير لاكوست عام 1956 يقول فيها: «الجنون هو أحد السبل المتاحة أمام المرء لفقدان حريته. ويمكنني القول إني من على هذا التقاطع شعرت بالرعب حين تبين لي مقدار الحرمان لدى سكان هذا البلد. وإذا كانت المعالجة النفسية تقنية طبية هدفها أن تسمح للإنسان بعدم البقاء غريبا عن محيطه، فعلي أن أؤكد أن الجزائري المحروم دوما في بلده يعيش في حالة ضياع مطلق لشخصيته.

---

[1]- المرجع نفسه، ص 64.

[2]- المرجع نفسه، ص 65.

*- ينظر: النصّ الأصلي من رسالة استقالة المثقّف والمناضل "فرانز فانون"، ملحق رقم (04)، ص60.

إن الأحداث الحالية الدامية في الجزائر لا تشكل فضيحة لمن يراقبها فهي ليست ناجمة عن عارض طارئ أو عن عطل في النّظام. إن الأحدث في الجزائر تشكل النتيجة المنطقية لمحاولة غسل دماغ جماعي باءت بالفشل». هذا النص إن كان يدل على شيء فهو تأثير الثورة الجزائرية في تفكير فرانز فانون فكانت ردة فعله أنه رفض الوقوف بجانب الاستعمار أو أن يتخذ موقف الحياد. بل تخلى عن منصبه « والتحق بصفوف المناضلين الجزائريين متبنيا لقضيتهم، مدافعا عنها بكل ما يملك من بلاغة قلم وقوة وحماس وحرارة الدفاع، يمكن أن نتبيّن خط التطور هذا من تتبع كتاباته خلال 1956 وعام 1957»[1] وحينما نقارن بين شخصية فرانز فانون وشخص نذير جزا يري نلاحظ أن الروائي يبحث عن فانون في شخص نذير أو يتمنى لو أن نذير المتأثر بمبادئ فرانز فانون أن يطبقها ويحذوا طريقه. الملاحظ أن بطل الرّواية مثقف مزيف، يعرف ما عليه فعله وما يحتاج إليه غيره لكنه ومن أجل نرجسيته يفضل التعاون مع الجلاد فذلك يعزّز موقعه و يحافظ على سمعته لهذا نراه منشغلا بشؤونه، بعالمه أكثر من انشغاله بشؤون الآخرين فنذير جزايري يحلم كغيره ببيت دافئ وزوجة وأولاد فالمثقف المزيف* هو مجرد خبير قلّ ما يؤخذ بنصائحه إذ أن وجوده مجرد غطاء أما تدخله بشؤون السلطة فذلك ممنوع، لأنّ من يحاول تجاوز دوره فإن عجلة النظام تهرسه بلا هوادة وتجعله عبرة لغيره، وهذا ما تؤكده أحداث الرواية فنذير عندما أراد أن يطبق المبادئ الفانونية نفي، بعد عودته لا يريد أن يعيش نفس التجربة المرة.

فهو الآن يقبل بأنصاف الحلول وذلك لأن «المنظومة السياسية الجائرة والمنظومة الاجتماعية المتحجرة أخفت صوت المثقف الحقيقي وطفا على السطح المثقف الزائف»[2].

قبل نذير البحث عن المجانين الذين هربوا من المصحة وإعادتهم إلى حياتهم البائسة دون أن يعارض أو يكشف حقيقة هذا الأمر الغامض خاصة وأنه اكتشف أن هؤلاء لم يكونوا مجانين حقيقيين، ونلخّص هذه الفكرة في المخطط التّالي:

---

[1]– محمد الميلي، **فرانز فانون والثورة الجزائرية**، القبة: 2010، دار الكتاب العربي، ص 133.

*–حسب سارتر: المثقف المزيف يقابله المثقف التقليدي، والمثقف الحقيقي يقابله المثقف العضوي.

[2]– إشراف مدني صالح، **إشكالية المثقف والسلطة عند غرامشي**، رسالة مقدمة إلى جامعة بغداد كلية الآداب قسم الفلسفة ص 161.

بعضهم
- أصيب تحت التعذيب في وقت الإرهاب بفقدان الذاكرة.
- انفلت من عقّال المجتمع المريض باحثين عن حريتهم.
- وبعضهم الآخر هرب من الجوع والذل في الشارع إلى مكان يأوي أحلامهم الضائعة[1].

نذير في هذه الحالة يناقض مبادئ فانون التي تندد بحماية المضطهدين والمهمشين والضعفاء ووقف مع الجانب المتسلط والمسيطر والظالم الذي يدفع بالأفراد إلى الجنون والإصابة بالأمراض النفسية. ففانون يقول عن هؤلاء بأنهم مثقّفون متقلبون ففي نظره «ليس من الضروري فقط أن تقاتل من أجل حرية شعبك. عليك أن تعلم الشعب، وأن تعلم نفسك أولا مرة أخرى معنى المكانة الكاملة لإنسان ما، وهذا ما يجب أن تفعله ما دام القتال مستمرا[2]». لم يكن نذيرا بمستوى فرانز فانون في مواجهته للواقع.

المبحث الثاني: السّلطة في الرّواية

1-السلطة السياسية والمجتمع الجزائري

طمس المستعمر الفرنسي هويّة ولغة الشّعب الجزائري في عهده وعاش الجزائري التهميش وعدم الإنصاف بعد الاستقلال، قام من استولوا على الحكم بجعل الشعب كقطيع غنم تجره أين تشاء، فعوّدته الفشل والانتظار وخلقت فيه أمراضا نفسية يعجز الطب النفسي معالجتها «بعد سنوات سيفهم اللعبة البائسة التي ورطت فيها شلة من السياسيين شعبا كاملا من أجل البقاء في السلطة وحماية مكتسباتها...»[3] نفس الأحداث يعيشها المجتمع الجزائري منذ استقلاله المزعوم فبعد مغادرة الاستعمار الفرنسي الجزائر استولت أيادي ظالمة على زمام السلطة وقمعت كل سبل التنوير والتقدم وعملت على جعل الشعب يقبل بأنصاف الحقيقة ويقبل حياة الذل والعبودية فشلت حركة العناصر المهمة في المجتمع ألا وهي

---

[1]- ينظر: عبد العزيز غرمول، **مصحة فرانز فانون**، ص 49.

[2]-نايجل سي غاسون. **فانون المخيلة**، بيروت: 2013. المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، ص 281.

[3]- عبد العزيز غرمول، **مصحة فرانز فانون**، ص 109.

المثقّفون وضعت لهم أكماما حتى لا يفصحوا ويوقظوا وعي الشعب: «يُريد النّظام السياسي بقاء الأمور على ما هي عليه لأن مصالح أعوانه تقتضي ذلك، لقد تم دفن الأصوات المطالبة بتغيير النظام وجعله أقرب إلى الشعب، واستعمل في ذلك كل الأدوات بما فيها العودة إلى عصور الشعوذة، والطرقية...»[1]. كانت سياسة الرئيس تخدمه وتخدم أعوانه، حتى شهادة البكالوريا كانت سياسية ولم تكن علمية عندما كانت الانتخابات لعهدة رئاسية جديدة على الأبواب أراد أكبر عدد من الناجحين لأن ذلك دليل على نجاح سياسته فلم يتعب المصححون أنفسهم في تدقيق النتائج «أنت تعرف ففي بلداننا المتخلفة كل شيء في خدمة السلطان حتى العلم الذي لا يعرفه»[2]. فالجامعة هادئة والشيء المهم للطبقة السياسية هو شراء السلم الاجتماعي بأي ثمن، وعلى المجتهدين والمبدعين أن يحتفظوا بإنتاجاتهم واستنتاجاتهم في أغوار روحهم وظهر ما يعرف بالإرهابيين لهم عيون في كل مكان، لكن «العسكر أيضا هو سبب المأساة في هذا البلد، العسكر لا يحب المتفوقين ولا يحب الحياديين... إما أن تكون معه أو أنت عدو محتمل يجب مراقبتك والقضاء عليك»[3]. فكانت الشوارع لا تخلو من الأحداث، مظاهرات، احتجاجات، إضرابات، أطلق عليها البعض «إضرابات القفة» وآخرون «إضرابات الجوع» كان العمال الذين يشتكون غلاء المعيشة في الشارع... والأطباء بالمآزر البيضاء يشتكون تدني الخدمات الصحية...والأساتذة الذين أغلقوا المدارس والثانويات يطالبون برفع رواتبهم وعمال النقل الحضاري يطالبون بتجديد أسطولهم العاطل عن العمل، كان لكل المواطنين سببا كافي لغلق الشوارع وحرق العجالات المطاطية وتذوق دخان لاكريموجين الخانق وضربات عصى الشرطة المؤلمة، ولكن لافتاتهم

---

[1]– المرجع نفسه، ص50.

[2]– المرجع نفسه، ص 76.

[3]– عبد العزيز غرمول،مصحة فرانز فانون ، ص 86.

المرمية في الطرقات ظلت تشهد النظام فاسد، الرئيس ديكتاتور، الحكومة فاشلة... نريد الحرية... نريد الخبز... نريد الدواء... نريد ماءا صالحا للشرب...

وبعد موت بعض المتظاهرين وبعض الشرطة وتهديد بعض الدول الغربية بالتدخل، ظهر رئيس الجمهورية على شاشة التلفزيون أنيقا حليقا راسما ابتسامة بروتوكولية على وجهه صبّ جام غضبه على المتظاهرين الذين ضربوا الشرطة وأحرقوا بعض المباني الحكومية، وصفهم بأنهم صعاليك ومشاغبين...

كان الرئيس مثل ساحر ماهر، كما قيل فيما بعد أخرج من كمه حكومة جاهزة الاستعمال لامتصاص غضب المتظاهرين وإسكات المعارضة المطالبة بإقالته مع حكومته الفاسدة وظهر وجه مألوف ومنسي، قيل إنه حارس رموز الجمهورية وأبو اليتامى والجائعين كان براغماتيا من ذلك النوع الذي يلوي عنق الحقائق ويكذب على المباشر لإرضاء جحافل الناخبين بل راح يلوي عنق التاريخ في حد ذاته من أجل إرضاء ذاته المتورم بسرطان الغرور. وتنهض أمه وتضرب شاشة التلفزيون بالحذاء وتقول بأن هذا الوجه القصديري لن يعتذر أبدا للأطفال الجائعين الذين لم يوفر لهم الخبز ولا للمرضى الذين لم يوفر لهم الدواء، ولا للذين لم يوفر لهم مقعدا في المدرسة... وبالتالي لا داعي لمشاهدته.

كان أصحاب السّلطة مثل الآباء الحمقى « يعتبروننا لا نزال في سن المراهقة وهم يمارسون وظيفتهم علينا...»[1] ويبقى الشّعب يتخبّط في بؤسه. ذكر الرّوائي كيف أنّ للسّلطة يد في كل الجرائم والأمور الفاسدة ، بدءا بحادثة الاغتصاب التي تعرّض لها بطل الرّواية نذير جزا يري وهو طفل لم يتجاوز العاشرة من عمره. تقدّمت والدة نذير بشكوى ضدّ البحاّر الذي اغتصبه، كان رجلا مسناّ، ذا سوابق عدليّة، يعرف كلّ أعوان الشّرطة لكن لم تلقى

[1]– المرجع نفسه، ص 127.

القضية أيّة متابعة، ليضل الملف بمركز الشرطة، إلى أن قرّرت أمّه الأخذ بالثأر لابنها وقامت هي بقتله ورميه في البحر.

2-معضلات السّلطة في الجزائر

يعمل النّظام السّياسي الذي يحكم الجزائر منذ خمسين عاما على تجهيل الشعب وتفقيره والدفع به إلى الفساد والفشل والاقتتال والداعم الأصلي للإرهاب هي الحكومة الفاسدة. إن كل من يعمل في السلطة له يد في النهب والسرقة والرشوة واستيراد المخدرات والممنوعات «لقد كانوا للاستعمار أبناءه المدللين، وهم الآن في السلطة أبناؤها المدللون أيضا، ينهبون الموارد نهبا ويندفعون إلى الإثراء بالسرقات اندفاعا لا يعرف الرحمة عن طريق الاستيراد والتّصدير والرّشوة على أكتاف البؤس الذي أصبح الآن وطنيا»[1] لكن ما يثير مخاوف السلطة هو نهوض الفئة المثقفة التي تسعى إلى إيقاظ وعي المجتمع وبالتالي تكون السّلطة أمام معارضين لها .

إنّ الطّمع في السّلطة والقوّة والرّئاسة يفقد صاحبها إنسانيته «جنون السّلطة أكثر خطرا من جنون الصّدمة، الصّدمة تفقد الإنسان المصاب بها صوابه فقط، أمّا السّلطة المجنونة فتفقد شعبا كاملا صوابه، وبالتّالي يفقد بوصلة حياته، وهو ما يدفع به للعنف والتطرّف»[2]. فالسّلطة تخشى الانهيار والسقوط تخشى أن تفقد هيبتها وأن يقف في وجهها من يحاسبها على جرائمها لهذا نجدها تسبق إلى القمع والعنف والنفي والقتل حتى لا يجرأ أحد الوقوف في طريقها. قدّم الرّوائي أمثلة عن أشخاص ذوي نفوذ هم أعوان وعملاء السّلطة وهم مثل رؤسائهم مجرّدون من إنسانيّتهم وكلّهم محميون من طرف جينيرالات. يسرقون في النّهار أموال الشعب ويقصدون في اللّيل الملاهي ليصرفوا على العاهرات.

---

[1]- المرجع نفسه، ص163.

[2]- عبد العزيز غرمول، **مصحة فرانز فانون، ص**209.

وجد نذير أثناء بحثه عن أصدقائه في "حانة القبو" أشخاصا، كلهم مهرّبين وهاربين من العدالة تحميهم السّلطة الظّالمة نذكر منهم : الذي الْتهم ميزانية بضع ولايات عندما كان واليا عليها، وحين غضب عليه من لم يقتسم معهم أقسموا أن يدخلوه السّجن، وبعد بضعة أشهر اشترى قاض على باب التّقاعد فأطلق سراحه، «اليوم أصبح مقاولا مشهورا يلتهم ميزانيات المشاريع الكبرى»[1] وآخر يلقّبونه بـ "مادونا" أنشأ شركة استيراد وتصدير للبلاط الاسباني، حين لم يجد ما يصدّره شطب كلمة تصدير من سجلّه وسمّاها استيراد استيراد، ومع ذلك يُقدّم فواتير ويتسلّم شهادات حُسن الانجاز.

3- جدلية المثقّف والسّلطة

نجد كثيرا من المثقفين الذين يهرعون للالتحاق بالأحزاب السياسية من أجل إشغال مقاعد ومناصب سياسية، هذه الفئة تعمل جاهدة لخدمة السلطة هدفها إرضاء المصالح الشخصية وكسب رضا الحكام ورجالات الدولة وهذا ما لاحظنا في تصرف نذير حينما قال لزهية: «سنقول غدا أمام اللّجنة الصّحية أن المهمة أنجزت وسيتلقى المجانين علاجا طبيعيا للتخلص من ماضيهم، من خوفهم ليتمكنوا من العودة إلى دورة الحياة الطبيعية اتفقنا أن الحياة لا تقدم هدايا للكسالى»[2] ونظرا لشيوع هذه الفئة في أوساط المجتمع الجزائري ساد الحكم بقلة جرأة المثقف وعدم تحليلهم للواقع بموضوعية «إن سبب الهزائم السياسية الحديثة هم المثقفون، يتطلع إليهم كيف يقودوا العمال في حين يشكلون طبقة خاصة بهم ويطلبون السلطة لأنفسهم... فباسم الماركسية يسعى المثقفون إلى تحقيق مصالحهم الاقتصادية، إنهم قادة أقل ثورية بقدر ما هم باحثون عن المناصب وتحقيق المصالح الخاصة»[3] حتى قيل عن

---

[1]- المرجع نفسه، ص160.

[2]- عبد العزيز غرمول، **مصحة فرانز فانون**، ص 286.

[3]- حفناوي بعلي، **مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن**، ص 154.

المثقّفين أنّهم بيروقراطيون استولوا على الدّولة وتفرّغوا لأعمالها ونسوا مهمّتهم وبها تكون هذه الفئة قد فقدت ثقة المجتمع لها.

ربما أفضل دليل ما تعيشه الجزائر في هذه الآونة، يتساءل عمر أزراج بدوره هل المثقّف مع الشّعب أم مع السّلطة؟ ماذا يفعل المثقّفون الجزائريّون في هذه الأيّام، في هذه المرحلة التّي ما فتئت تشهد تفاقم الأزمة المركبّة التّي تعصف بالبلاد في صورة فراغ سياسي متعدّد الذّيول، وذلك منذ تفكّك الحزب الواحد وظهور تعددية حزبية فوضوية على أساس مقاييس النّظام الحاكم، وانفجار الصّراع المسلّح بين الإسلاميّين مرورا بتعرّض الرّئيس عبد العزيز بوتفليقة للمرض وانتهاء بابتعاده عن ممارسة نشاطه السّياسي بشكل طبيعي بعيدا عن الآلية السّلبية المكرّرة المتمثّلة في توكيل هذا أو ذاك للنّيابة عنه سواء داخل الوطن أو على المستوى الدّولي.

في هذا المناخ البائس نرى عددا كبيرا من الإعلاميّن المصنّفين ضمن زمرة المثقّفين يقفزون إلى التّموقع السّياسي وفقا لمصالحهم ولحساباتهم المستقبليّة يقول «بدلا من القيام بالتّحليلات العلمية والجريئة للمشكلات المزمنة التي تعاني منها الشّرائح الاجتماعية».[1]

فيما يخصّ الوضع السّياسي الذّي لم يقدر منذ الاستقلال إلى يومنا هذا أن يبني أسس الدّولة العصريّة من الملاحظ مع الأسف، أن معظم ما يُكتب من طرف هؤلاء هو أشبه ما يكون إعادة إنتاج للتّخلف في شكل السّخرية والبكاء على الأطلال. إنه بمجرد أن أُعلن عن الانتخابات الرئاسيّة التي ستجرى في أفريل القادم بدأت الأقلام والتّصريحات تكشف عن نمط من الانتهازيّة المتمثّلة إمّا في التّصفيق للوزراء والرّئيس وإمّا في تقديم أنفسهم كموظّفين صالحين لتولّي المسؤوليات تحت إشرافهم. هنا نجد عددا كبيرا من المثقّفين الجزائريّين يتميّزون بازدواجية الموقف المتناقض حيث أنه يرفض النّظام الحاكم في الليّل

[1]– عمر أزراج، **مجلة العرب**، رئيس تحر. هيثم الزبيدي، 07/02/2019، العدد 11252، لندن 1977.

ويتغذّى معه في النّهار، ويُؤدّي مثل هذا التّصرف إلى السّقوط غالبا في فخّ أداء دور المناشدين والطبّالين بدلا من الإنتاج الفكري المتحضّر الذّي يُنير درْب الشّعب الجزائريّ المغلوب على أمره.

في الحقيقة أن سلبيّة وهشاشة المثقّفين في المجتمع ليستا حدثين طارئين بل هما نتاج لانتشار الذّهنية المتخلّفة التّي لها تاريخ طويل في الحياة السّياسية. إن اعتبار المثقّفين مجرد أتباع أو عناصر ثانوية في الحياة الوطنية وتحقيرهم هو ثمرة مرّة لرضوخهم للنظّام بعد الاستقلال. كما يرى عمر أزراج أنه في الجزائر لا توجد تقاليد للمثقّفين الراديكاليين الذين يفكّرون ويشرّعون للدّولة ويؤثّرون بقوة على تثقيف الأحزاب السياسية.

لاشك أن هناك مثقّفين جزائريّين في الأحزاب وفي عدد من المؤسّسات والنّقابات لكن وجودهم في هذه الهياكل يعني شيئين اثنين: إمّا الانغماس في الموالاة لأجهزة الحكم وإمّا الرّفض المُطلق لها دون تقديم بدائل. وفي كلا الحالتين يبقى موقف المثقّف غامضا.

كما يتجلى لنا اختلاف ما يقوله المثقّفون داخل الوطن وما نسمعه من أخبار من مثقّفين من خارج الوطن. كذلك ما تقوم القناة المحلية بالتّحدث عنه وما تعلن عنه القناة الأجنبيّة حول الوضع في الجزائر فهذا إن كان يدلّ عن شيء فهو حريّة المثقّف خارج الوطن وقمع المثقّف داخل الوطن.

كما يحاول المثقّفون داخل الوطن ضرب عصفورين بحجر، خدمة مصالحهم ونيل رضا السّلطة لأنّهم لا يريدون أن يورّطوا أنفسهم وأن يتعرّضوا للمطاردة من طرف أعوان السّلطة، وما شخصية نذير في الرّواية إلا رمزا لهذه الفئة حينما هدّده وزير الصّحة بأن يقبل إنجاز المهمّة وإلاّ سيعاقب وهذه المرّة ليس بالنّفي إلى الصحراء إنما أبشع من ذلك.

ومن المثقّفين المقاومون والثائرون الواقفون في وجه السّلطة الرّافضون لحياة العبودية وهذه الفئة قليلة لأنهم إمّا ينفون أو يتعرضون لأبشع وسائل التعذيب[1] أشنع من تلك التّي مارسها الاستعمار، لكنّ سبيلها نفسه فسلطة الاستعمار وسلطة ما بعد الاستعمار خلقت في نفوس هذه الفئة أمراضا نفسيّة كما يقول فانون فرانز يعجز الطب النّفسي معالجتها فهذه السّلطة خلّفت شعبا فاشلا، يائسا، يعيش ليأكل وينام ويعدّ الأيّام للقاء ربه، اعتبر فرانز فانون Frantz Fanon هذه الحالة ظاهرة اجتماعية ظهرت بسبب العنف، يقول: «وهذا العنف ينبع من طبيعة القمع الكولونيالي»[2] هذا النّظام فرض نفسه بالقوّة، بفرض بعض الشّعوب إرادتها ضد إرادة شعوب أخرى بفضل وسائل الدّمار المتّقدمة أو بكثرة عددها ليجد الشّعب عامّة والفئة المثقّفة خاصّة نفسها مهمّشة، مرفوضة مردّها السّجن، النّفي أو الموت، ففي نظر السّلطة قمع المثقّف أولى اهتماماتها حتّى يعرقل طريقها في تحقيق مرادها، لنجد المثقّف خائفا، تائها، حياته شبه مستحيلة، لأن المثقّف موقف، فإن مُنع من اتّخاذ الموقف الذي يؤمن به زال من الوجود.

[1]– فرانز فانون، **العلم الخامس للثورة**، تر: قرقوط، ط1. لبنان: 2004، دار الفرابي، ص 205.

[2]– المرجع نفسه، ص206.

خاتمة

خاتمة:

توصّلنا من خلال دراستنا هذه إلى جملة النتائج التالية:

- يحي المثقّف في الجزائر حياةً بوجهين، وجه رافض ووجه خاضع، يُريد بالأوّل أن يُعبّر عن موقفه بكلّ حرّية ، يُعارض مبادئ السّلطة المتسلّطة و يُدافع عمّا يُؤمن به ويرتقي به مجتمعه. يخشى بالثاني أن يخسر حياته وحياة من يّحب فيتراجع ولا يقحم نفسه في أمور تّزعج المسؤولين فيقع في قبضة من يريدون إسكاته.
- أظهرت هذه الدّراسة أنّه لاشكّ من وجود مثقّفين في الجزائر (نجد كل شخصيّات الرّواية مُثقفة) منها: الجامعيون والعسكريون والأكاديميون...الخ، لكن لا يشرّعون للدّولة ولا يؤثّرون بقوة على تثقيف الأحزاب السّياسية باستثناء فئة قليلة منهم، فإمّا أن نجدهم منغمسين في الموالاة لأجهزة الحكم أو رافضين ومعارضين لها دون تقديم بدائل. لا يدافعون عن أيّة قضيّة وطنية بإيمان في إطار تنظيمات حرّة يسندها المجتمع.
- أثبتت الدّراسة أن هناك عِداءً تاريخيا بين المثقفين والمسؤولين في السّلطة، فلا نجد في الجزائر مثقّفا شغل منصبا في السّياسة وإذا حدث ذلك طرأت تغيرات جذرية على مبادئه ليتحوّل من معارض للسّلطة إلى عميل لها.
- شرّح الرّوائي "عبد العزيز غرمول" المجتمع الجزائري بمتغيراته الاجتماعية والسّياسية والنّفسية كان العمل بمثابة مرآة عاكسة للجزء المريض من هذا البناء الاجتماعي المعقّد.
- كشفت الدّراسة إلى أن الرّوائي أسقط فلسفة "فرانز فانون" السّائدة النّاتجة عن السّياسة ومفارقاتها.

- كشفت الدّراسة أن السّلطة تسعى دائما فرض سيطرتها وجعل المثقّف تابعا، تستخلصه فقط لنفسها ليكون في خدمة مصالحها فبعد أن كان نذيرا شبه منسيا في الصحراء استدعته واستقبله وزير الصحة ليعرض عليه مهمة سريّة وهدّده بالعقاب إذا عارض.
- تتميّز هذه الدّراسة بأنّها محاولة جادّة في البحث عن نقاط ضعف و تأخّر المثقّف الجزائري مقارنة بالمثقّف في البلدان الأجنبيّة. سعى الرّوائي من خلال هذا العمل إلى التّذكير بتضحيّات، "**فرانز فانون**" ووجوب الاقتداء به، بحيث لا يكفي الإيمان بمبادئه إنّما الجزائر في أمسّ الحاجة إلى مُثقّفين أمثاله.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1-المصادر:

1. عبد العزيز غرمول، **مصحة فرانز فانون**، الجزائر: 2016، منشورات القرن.
2. عبد العزيز غرمول، **رسول المطر**، قصص منشورة في دار الغد، سنة 1993.
3. عبد العزيز غرمول، **عام 11 سبتمبر (ما لم يحدث في أمريكا)**، منشورات المكتبة الوطنية ط1، الجزائرية: 2001.

2-المعاجم والقواميس:

1. ابن منظور، **لسان العرب**، ط1، لبنان: 1990، دار صادر، المجلّد التاسع.
2. جويس هوكنز وآخرون، **قاموس أكسفورد المحيط**، إنجليزي-عربي تح عمر الأيوبي وآخرون.ج.ط، بيروت: 2003، أكاديميا إنترناشيونال.
3. طوني بينيت، **مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع**، تر سعيد الغانمي، دط، بيروت: 2005، المنظمة العربية للترجمة.

3-المراجع باللغة العربية:

1. حفناوي بعلي، **مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن**، ط1. سوريا: دت، منشورات الاختلاف.

2.رضوان زيادة، **المثقف ضد السلطة، حوارات المجتمع المدني في سوريا**، دط. مصر: دت

3.زكي نجيب محمود، **هموم المثقفين**، ط1. لبنان: 1981، دار الشروق.

4.عبد الرحمن بن محمد بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، ط1. مصر: 2009، ابن جواز للنشر والتوزيع.

5.عبد الرحمن لحرش، **المجتمع الدولي التطوّر والأشخاص**، دط. الجزائر: 2007، دار العلوم للنشر والتوزيع.

6.عبد العزيز غرمول، **مصحة فرانز فانون**، الجزائر: 2016، منشورات القرن 21.

7.علي حرب، **أوهام النخبة أو نقد المثقف**، ط3. المغرب: 2004، المركز الثقافي العربي.

8.فرانز فانون، **العلم الخامس للثورة**، تر: قرقوط، ط1. لبنان: 2004، دار الفرابي.

9.فرانز فانون، **معذبوا** الأرض، تتدك شولي، إث علي الكنز، دط. الجزائر: 2007، منتدى سور الأزيكية.

10.فرانس فانون، **معذبو الأرض**، دط، الجزائر: 2006، موفم للنشر.

11.محمد الشيخ، **المثقّف والسّلطة**، ط1، لبنان: 1991، دار الطليعة.

12.محمد الميلي، **فرانز فانون والثورة الجزائرية**، القبة: 2010، دار الكتاب العربي.

13.محمود محمد أملودة، **تمثيلا المثقف في السرد العربي الحديث: الرواية الليبية أنموذجا، دراسة في النقد الثقافي**، دط. الأردن: 2010.

14.ميشال فوكو، **المعرفة والسّلطة**، عبد العزيز العيادي، ط1. لبنان: 1994، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

15.نور الدين بوكروح، **جوهر فكر مالك بن نبي**، دط. الجزائر: 2016، المكتبة الوطنية الجزائرية.

4-المراجع الأجنبية المترجمة إلى العربية

1. إدوارد سعيد، **خيانة المثقفين**، تر: أسعد الحسين، د.ط، سوريا: 2011، دار نينوى.
2. بيار بورديو، **الرمز والسلطة**، تر: عبد السلام بنعبد العالي، ط3. المغرب: 2007، دار توبقال للنشر والتوزيع.
3. جيوفري نويل سميث، وكنتين هور، **غرامشي وقضايا المجتمع المدني**، تر: فاضل جتكر. ميشال فوكو، المعرفة والسلطة، تر: عبد العزيز العيادي، ط1. لبنان: 1994، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
4. نيجل سي غابسون، **فانون المخيلة بعد الكولونيالية**، تر، خالد عابد أبو هديب، ط1، بيروت: 2013، (المركز العربي للأبحاث والدراسة السياسية).

5-الأبحاث الجامعية:

1. إدوارد سعيد، **صور المثقف**، محاضرات ريث، سوريا: 1993، دار نينوى.
2. إشراف مدني صالح، **إشكالية المثقف والسلطة عند غرامشي**، رسالة مقدمة إلى جامعة بغداد كلية الآداب قسم الفلسفة.

6-المجلات:

1. **مجلة الثقافة**، وزارة الثقافة، الجزائر: 1994، العدد 103.

2. عمر أزراج، **مجلة العرب**، رئيس تحر. هيثم الزبيدي، 07/02/2019، العدد 11252، لندن 1977.

الملاحق

الملحق رقم (01)

ملخّص رواية "مصحة فرانز فانون" لـ"عبد العزيز غرمول".

بطل الرّواية "نذير جزايري" طبيب الأعصاب والأمراض العقليّة، العقلية، ولد في باب الواد في أحضان عائلة غاب عنها الأب بسبب إهماله، ووالدة تحمّلت وحدها مسؤوليّة البيت وتربيّة الأولاد، له أخوان كما تقول عنهما والدتهما: «بغلان لا يفقهان شيئا». تعلّم في حيّه كل ما جعل منه اليوم ما هو عليه، تعرّض في طفولته للاغتصاب من طرف بحّار أغراه بتعليمه الصّيد، لكنّ بعد أن تودّد إليه ووطد علاقته به قضى على براءته واغتصبه لتكون هذه اللّحظة راسخة في ذهن نذير جزائري وتكون ذكراه السّوداء التّي تُعكّر صفو حياته كلّما تذكّرها. لم تحرّك الشّرطة ساكنا إزاء القضيّة، لكن نذير عرف مؤخّرا أن والدته قامت بالثّأر لأبنها بقتل البحّار، كان نذيرا الولد المفضّل لأمّه لأنّه الوحيد الذّي يهتمّ بدراسته، كان يلتقي بمجموعة من رفاقه أطلقوا على أنفسهم أسماء كبار الروائيّين وأسماء أبطال الرّوايات أمثال كروزو، مارسو، محمد شكري...الخ.

وكانوا يلتقون على شاطئ البحر وسمّوا مكانهم بنادي الضّائعين.

درس علم النفس الّذي اختارته له والدته لكنّ أوضاع البلاد المضطربة والتّي كانت تُثير الخوف والرّعب في نفوس كلّ الجزائريّين ظهرت مجموعة ممّن يسمّونهم إرهاب، يقومون بقتل، وسجن ونفي كلّ شخص يقف في وجههم أو يعترض طريقهم. كان كلّ متعلّم (من يعرف القراءة والكتابة) معرّضا للخطر. قدّمت له والدته تحويشة عمرها كما يسمّيها ليذهب بطريقة غير شرعيّة (حراقّة) إلى فرنسا إلى البلد الذي يحترم العلم (كما تقول والدته) والتقى هناك بأصدقاء رفاقه وصديق أستاذه (فنان الفنيان) الأستاذ توسكفيل الذّي ساعده في التّسجيل بفرع الطّب النّفسي بجامعة ليون بفرنسا وزوّروا له أوراقه ليتمكّن من الانخراط في

المجتمع الفرنسي بأوراق رسميّة تلقّى دروسا من طرف الأستاذ توسكفيل الّذي درّس المارتينيكي فرانز فانون فكانا في كلّ مرّة يدرج كلام المناضل والثّوري المارتينيكي في حديثه حتى تشبّع نذير بالأفكار الفانونية، كان توسكفيل يوقض وعي نذير ويحسّسه بمدى أهميّة أن يخدم الفرد وطنه، خاصّة المثقّف ففي نظره المثقّف الّذي لا يندمج في مجتمعه لا خير ولا نفع من علمه وهكذا تأثّر نذير بأفكار أستاذه وبعد أن نال شهادته من جامعة ليون قرر العودة إلى أرض الوطن لخدمة بلده كما نصحه أستاذه. لكن عندما عاد ومن لحظة لقاءه بأخيه في المطار شعر بمدى سوء أوضاع الوطن، فأخوه البغل أصبح نائبا في البرلمان والدته توفّيت منتحرة والسّبب مجهول، بيتهم أصبح مهجورا، لا وجود لأصدقائه فمنهم من قتل ومنهم من نفي وآخرون سجنوا، استغرب فلا شيء كان كما كان ولا شيء موجود كما يجب أن يكون، بحث عن عمل فعيّن مساعدا في مستشفى بالعاصمة عندما حاول تطبيق ما تعلّمه في فرنسا، وأنّ الجنون ليس بمرض معدي وأن المرضى يستطيعون عيش حياتهم بين النّاس في المجتمع، نفي إلى الصّحراء أين أمضى سنوات في منفاه الاضطراري، عمل لمدّة طويلة وعسيرة طبيبا بثكنة عسكريّة يداوي العسكر كما يقول أن :«أعصابهم يدمّرها الفراغ والكبت والعنف أكثر ممّا يدمّرها فزعهم من الاشتباكات مع دوريات المهرّبين والإرهابيين...».

مرّت هذه السّنوات إلى أن أتى يوم تلقى فيه اتّصالا من سكرتيرة وزير الصّحة بالعاصمة تقول له أن الوزير يريده لأمر طارئ، فقطع كل تلك المسافة من الصّحراء إلى العاصمة حيث كان يومه الأوّل سيّئا لأنه لم يستقبل كما يليق لطبيب من طرف عامل الاستقبال بالفندق، لكن بعد أن التقى بالسّكرتيرة التّي ضربت له موعدا مع وزير الصّحة والّذي طلب منه بطريقة باردة ونوع من الإرغام أنّ عليه أن يبحث عن مجانين هربوا من

مصّحة الأمراض العقليّة وإعادتهم إلى مكانهم وإلاّ سيعرض حياته للخطر فهذه المرّة لن يكون عقابه النّفي إنّما أبشع من ذلك.

بعد ذلك اللّقاء الغامض مع الوزير رافقته السّكرتيرة في شوارع المدينة أين تذكّر ماضيه البغيض وتناولا العشاء وتعرّفا أكثر على بعضهما البعض، وفي اليوم الموالي رافقته إلى مستشفى فرانز فانون أين رأى مصّحة دون مدير وعمّال غير منضبطين وملفّات عليها غبار فكانت تلك الأوضاع تثير مخاوفه أكثر لكن ما أثار انتباهه هو ذكاء السّكرتيرة التّي يبدو عليها الدّراية بكلّ شيء ففي كل مرّة تقدّم له معلومة وكأنّها تريد الإفصاح عن شيء إلى أن اعترفت له بأنّ زوجها كان ضابط شرطة لكن بعد أن اختطفت جماعة مجهولة ابنها وباعت أعضائه انضمّ إلى الإرهابيين للثّأر لابنه وتوفي هو أيضا.

لم يعرف نذير في لحظة الاعتراف هذه ما إذا كان سينجز مهمّته أو يعود إلى منفاه الاختياري، لكن تأثيرها عليه وإعجابه بها كان أقوى منه فقرّر البحث عن هؤلاء المجانين واتّجه إلى حانة القبو ملهى ليلي كان يجتمع فيه مع رفاقه، والتقى بصديقه بوعزّة الذّي كان أستاذا وتعلّم كلّ اللّغات وأصبح الآن زبونا لهذا الملهى وقدّم له معلومات عن كلّ رفاقهم وعن حالة البلاد إلى أن تحدّث عن ليلة فوز الجزائر على الألمان في مباراة كرة القدم وأوضح أن في ذلك اليوم تمّ إخراج مجانين من مستشفى فرانز فانون وأدخلوهم بعد خمسين كيلومتر إلى مستشفى دريد حسين أين ذاقوا أوّل صحن عدس ساخن وقطعة مورفين لنسيان وجودهم في هذه اللّحظة عاد به خياله إلى ماضيه، إلى كلّ معاناته إلى لحظة اغتصابه، تذكّر أمّه التّي ضحّت من أجله، إلى أخواه البغلان إلى كلّ شيء دمّر حياته وحياة من يحب. ظلّت السكرتيرة معه يفكران فيما يريد الوزير توريطهما فيه ارتمت بين أحضانه احتواها وفكّرا معا في حلّ يرضي اللّجنة إلى أن قرّرا أن يخبرا اللّجنة أنّ المهمّة أنجزت ومرضى مستشفى فرانز فانون يتلقّون علاجا طبيعيّا للتّخلّص من ماضيهم البغيض وأنّهم

سيحتفّون بصحن عدس ساخن وقطعة مورفين وعناية صحيّة سيشرف عليها نذير جزايري شخصيّا. همس في أذنها أنّه يريد الذّهاب معها إلى المستقبل فهو يحلم بحياة طبيعيّة بيت، زوجة، أولاد.

الملحق رقم (02)

نبذة عن حياة المُؤلف عبد العزيز غرمول:

عبد العزيز غرمول كاتب، قاص، روائي، صحفي، رجل سياسي ولد في 17 نوفمبر 1958 ببني فضّة مدينة سطيف[1].

بدأ عبد العزيز غرمول نشاطه الأدبي مبكّرا، فقد بدأ بنشر خواطره الأدبيّة وهو لم يتجاوز الثّانية عشرة من عمره بعد وتعدّ خاطرة "المرأة التي ولدت من رحم التّاريخ" من محاولاته الأدبيّة الأولى نشرت "بجريدة النّصر"، يعدّ عبد العزيز غرمول من الجيل الجديد للرّواية الجزائريّة، جيل ما بعد الطّاهر وطّار، رشيد بوجدرة، محمد ديب. منذ روايته الأولى "مقامة ليليّة" سنة 1993 تفرّد بموضوعاته وأسلوبه حيث بدا وكأنّه ينشقّ عنوة عن الرّواية السّائدة ويؤسّس لنفسه طريقا مختلفا بلوره شيئا فشيئا في قصّة " رسول المطر" سنة 1994 و"سماء الجزائر البيضاء" سنة 1995، كما نشر العديد من الأعمال الأدبيّة والنّثرية منها "حارة طرف المدينة" بجريدة الخبر، "نورا" لمريم بان مترجمة عن الفرنسية، "سلالة الغضب" مجموعة مقالات ثقافية وخلال سنة 2005 نشر روايتين في نفس الوقت "زعيم الأقليّة السّاحقة" عن دار القصبة وراوية "عام 11 سبتمبر" عن منشورات المكتبة الوطنيّة الجزائريّة إلى جانب كتاباته الدّائمة في الصّحف والمجلاّت المتخصّصة.

شغل منصب رئيس اتّحاد الكتّاب الجزائريّين من سنة 2005[2] إلى أن قدّم استقالته سنة 2008 احتجاجا على الأوضاع الثّقافية في الجزائر وتوّلى إدارة تحرير صحيفة "الخبر الأسبوعيّة" وكتب فيها عموده الشّهير "نظرة حادّة" إلى غاية 2010.

---

[1]– ينظر: عبد العزيز غرمول، رسول المطر، قصص منشورة في دار الغد، سنة 1993، ص الغلاف.

[2]– ينظر: عبد العزيز غرمول، عام 11 سبتمبر (ما لم يحدث في أمريكا) منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية ط1. 2001 ص الغلاف.

تولّى منصب رئيس حزب الوطنيّين الأحرار سنة 2012 ليعود من جديد سنة 2015 بروايتين هما "اختلاس رواتب الموتى" و"مصحة فرانز فانون" وهذه الأخيرة اتّخذناها أنموذجا لبحثنا.

الملحق رقم (03)

نبذة عن حياة فرانز فانون.

ولد فرانز فانون في 20 يوليو 1925 في بلدة (فور دوفرونس) في جزر المارتينيك، كان أبوه موظّفا بالجمارك، وكان منصب الموظّف في بلد كالمارتنيك يعتبر وضعا إمتيازيا بالنّسبة للعامل الزراعي.

ومع تردّد فرانز فانون على المدرسة الفرنسيّة تعزّز نفوره من اللّهجة المحلّية وانفتحت عيناه على القيم البيضاء ممثّلة في أبطال من أمثال "شارلمان"، "لامارتين".

على الرّغم من وجود ألوان متعدّدة من التّمييز العنصري في جزر الأنتيل التّابعة للاستعمار الفرنسي، فقد نشأت ما يسمّى "برجوازية زنجية" وكانت هذه تبحث عن الاندماج والذّوبان في الإطار الفرنسي أكثر ممّا تفكر في الاستقلال الوطني.

إلى هذه الفئة تنتمي أسرة فرانز فانون فقد تمكّن خمسة من بين ثمانية أولاد من ضمنهم فرانز فانون متابعة دراستهم العليا في الجامعات الفرنسيّة.

تميّزت فترة شبابه بالاضطراب، مثل ما كانت حالة الشّباب من جيله، الذّين تأثّروا بعواقب الحرب العالميّة الثّانية في جزر "المارتنيك".

في عام 1943 سافر سرّا إلى جزيرة الدّومينيك ليلتحق هناك بالقوى الفرنسية الحرّة التّي شاركت في الحرب تحت قيادة الجنرال ديغول إلى جانب الإنكليز والأمريكيين ضدّ ألمانيا النّازية وإيطاليا الفاشية.

وقد أُرسل بعد تطوّعه إلى شمال إفريقيا. شارك مثل العديد من الجزائريين في المعارك. وفي عام 1945 أصيب "فرانز فانون" بجروح في إحدى المعارك ومنح وساما

لشجاعته. عاد إلى المرتنيك استأنف دراسته وحصل على شهادة الباكالوريا، كما شارك في الحملة الانتخابيّة للكاتب المرتينيكي الكبير "إيميه سيزار" الذّي كان أستاذه، والذي كان لأفكاره أكبر الأثر على ذلك الجيل من المناهضين للاستعمار.

في عام 1947 سافر إلى فرنسا بعد حصوله على منحة دراسية وفي مدينة ليون عاش حياة طالب نشيط دون أن يهمل دراسته في الطّب، شارك في المناقشات الفلسفية والسّياسية في تلك الفترة وكان يقرأ كثيرا ويتابع دروسا في الفلسفة.

وفي عام 1951 أنهى أطروحته وحضّر لامتحان الدّاخلية لمستشفيات الطّب النّفسي، تزوّج 1952 من فتاة ليونيّة اسمها "جوزي" رزق منها ولدا اسمه "أوليفيه"، وقد أتمّ تخصّصه في الطّب النّفسي مع الدكتور "توسكفيل" وهو طبيب مجدّد من الجمهوريين الإسبان المقيمين في فرنسا والّذي ترك أسلوبه في العلاج أعمق الأثر في "فرانز فانون".

في سنة 1952 صدر له عن دار "سوي Seuil " في باريس أوّل كتاب من تقديم "فرانسيس جانسون" بعنوان "سود الوجوه، بيض الأقنعة" ألّذي ما لبث أن لفت الأنظار إليه.

وفي عام 1953 نجح في مسابقة الالتحاق "ميديكا Medicat" لمستشفيات الأمراض العقلية والتمس منصبا في مدينة البليدة مستشفى "جوان فيل" الذي كان في ذلك الوقت من أهمّ مستشفيات منظومة الطّب النّفسي الفرنسي، وباعتباره منتميا لمجموعة كبرى من ضحايا الاستعمار فهو يدرك أن الاستعمار هو السّبب الرئيسي لأمراض النّفسية. أراد إظهار ما يعرفه عن هذا الاستعمار للعيان ومكافحته عن طريق مساعدة الضّحايا على تمالك أنفسهم من خلال وعيهم بسبب مرضهم.

هكذا اندمج "فرانز فانون" كرجل علم في حركة تجديد الطّب وكان يشارك في كل النّشاطات، كان يقيم علاقات تتّسم بالثّقة مع الممرضين الجزائريين وقد وقع في صراع مع السّلطات الاستعمارية من جراء هذه النّشاطات السّرية منها والعلنية.

في نهاية 1956 كان على اتّصال مع لجنة التّنسيق والتّنفيذ (C.C.E) التّي كانت تنسق النّضال بصفة سريّة من العاصمة، وقابل عددا من مسيّريها.

وبعد أن اكتشف أمره بعث برسالة استقالة للحاكم العام وأبعد عن أثرها من التّراب الجزائري.

في فرنسا تعاهدته فيدرالية جبهة التّحرير الوطني الذّي أرسلته بدورها إلى تونس لينظم إلى المنظّمة الجزائريّة في الخارج. في تونس أوكلت إليه مهام الإعلام بصفته مثقّفا، كما عنى بالمرضى الجزائريّن والتونسيّين على حدّ سواء باعتباره طبيبا.

في شهر ديسمبر 1958 اختير "فرانز فانون" عضوا في الوفد الجزائري إلى مؤتمر إتّحاد الشّعوب الإفريقية التّي عقد في "أكرا" عاصمة "غانا الحديثة الاستقلال" وفي مارس 1959 شارك "فرانز فانون" في المؤتمر الثّاني للكتاب والفانين السود في "روما". في نفس السنة صدر له في باريس كتاب ثاني بعنوان "العام الخامس للثورة الجزائرية".

وفي مارس 1960 عين ممثّلا دائما للحكومة المؤقتّة للجمهورية الجزائريّة في "أكرا". وشاهد عن كثب ظروف الانطلاق المأساويّة لبعض الاستقلالات الحديثة، الأمر الذي آلمه وتأثّر منه عميق التأثر. شعر بالمرض يدبّ في أوصاله.

وأثناء مروره بتونس في ديسمبر 1960 أجرى فحوصات طبّية وكانت نتيجة الفحوصات واضحة: سرطان في الدم.

كان يعرف وهو في الخامسة والثّلاثين من العمر بأنه سيموت لكن هذا المكافح كان لا يريد لأفكاره وأقواله ولتجربته أن تموت معه فأخذ يقدّم عروضا وشروحا على ضباط جيش التحرير الوطني على الحدود التونسية ويملي على زوجته نصوصا تمّ طبعها على الآلة الرّاقنة، وهذه النّصوص كانت تشكل كتاب "معذبو الأرض" الذي فرغ منه في يوليو 1961 وفي أكتوبر أرسلته المنظّمة إلى مستشفى الولايات المتّحدة الأمريكية كان يأمل أن يستفيد من أحدث الأبحاث العلمية للتغلب على مرضه، ثم تبعته زوجته وابنه، كان سروره عظيما حين رأى في نهاية شهر نوفمبر النّسخة الأولى من كتابه.

ومات يوم 6 ديسمبر 1961 وأدّت المراسم الشّرفية لدفن المناضل "فرانز فانون" فوق التّراب الجزائري (قرب الحدود التونسيّة) [1].

[1]-نيجل سي غابسون، فانون المخيلة بعد الكولونيالية، تر، خالد عابد أبو هديب، ط1، بيروت مارس 2013 (المركز العربي للأبحاث والدراسة السياسية) ص30.

الملحق رقم (04)

Mais que sont l'enthousiasme et le souci de l'homme si jouemellement la réalité est tissée de mensonges, de lâchetés, du mépris de l'homme ?

Que sont les intentions si leur incarnation est rendue impossible par l'indigence du cœur, la stérilité de l'esprit, la haine des autochtones de ce pays ?

La folie est l'un des moyens qu'a l'homme de perdre sa liberté. Et je puis dire que, placé à cette intersection, j'ai mesuré avec effroi l'ampleur de l'aliénation des habitants de ce pays.

Si la psychiatrie est la technique médicale qui se propose de permettre à l'homme de ne plus être étranger à son environnement, je me dois d'affirmer que l'Arabe, aliéné permanent dans son pays, vit dans un état de dépersonnalisation absolue.

Le statut de l'Algérie ? Une déshumanisation systématique.

Or le pari absurde était de vouloir coûte que coûte faire exister quelques valeurs alors que le non-droit, l'inégalité, le meurtre multiquotidien de l'homme étaient érigés en principes législatifs.

La structure sociale existant en Algérie s'opposait à toute tentative de remettre l'individu à sa place.

Monsieur le Ministre, il arrive un moment où la ténacité devient persévération morbide. L'espoir n'est plus alors la porte ouverte sur l'avenir mais le maintien illogique d'une attitude subjective en rupture organisée avec le réel.

Monsieur le Ministre, les événements actuels qui ensanglantent l'Algérie ne constituent pas aux yeux de l'observateur un scandale. Ce n'est ni un accident ni une panne du mécanisme.

Les événements d'Algérie sont la conséquence logique d'une tentative avortée de décérébraliser un peuple.

Il n'était point exigé d'être psychologue pour deviner sous la bonhomie apparente de l'Algérien, derrière son humilité dépouillée, une exigence fondamentale de dignité. Et rien ne sert, à l'occasion de manifestations non simplifiables, de faire appel à un quelconque civisme.

الفهرس

الفهرس

إهداء

مقدمة:..... 1

الفصل الأوّل:

المثقّف والسّلطة مفاهيم نظريّة.

المبحث الأوّل: المثقّف 5

-1مفهوم المثقّف..... 5

-2علاقة المثقّف بالمجتمع 10

-3هموم المُثقّف 13

المبحث الثاني: السّلطة 18

-1مفهوم السّلطة..... 18

-2السّلطة والمجتمع..... 20

الفصل الثاني:

المثقّف والسّلطة من خلال رواية مصحة فرانز فانون.

المبحث الأوّل: المثقّف في الرّواية..... 26

-1المثقّف في المجتمع الجزائري..... 26

-2هموم المثقّف الجزائري 30

المبحث الثاني: السّلطة في الرواية 34

1-السّلطة السّياسية والمجتمع الجزائري..... 34

2-معضلات السّلطة في الجزائر..... 37

3-جدليّة المثقّف والسّلطة 38

خاتمة:..... 44

قائمة المصادر والمراجع 47

الملاحق 51

الفهرس 64

ملخص:

تعدّ علاقة المثقّف بالسّلطة علاقة جدلية أثارت تساؤلات النقّاد والفلاسفة والأدباء والمتخصصين...

يلعب المثقف دورا أساسيا في المجتمع، يكشف ويعالج قضايا العصر ويوقض وعي المجتمع ويدافع عن قيمه.

تسعى السّلطة بدورها فرض نفسها بسنّ قوانينها وعرضها على الشعب سواء استحبّها أم لا فهو مرغم على تطبيقها واحترامها.

يحاول المثقف أن يراضي مجتمعه ويخدم مصالح السلطة التي تحمي مصالحه فإذا واجهها قد يخسر نفسه ويضيّع فرصة العيش برفاهية لأن السّلطة تشتري كل عملائها حيث تعرض على كل من يخدمها فرصا من ذهب حتى تكسبهم إلى طرفها.

مهما يكن مستوى المثقف وواقع السّلطة فلا شيء ينبغي أن يصرفهما عن خدمة الشعب وتحرير الوطن من أي شكل من أشكال الاستعمار ولن يتحقق ذلك إلا بتكامل سلطة المثقّف وثقافة السّلطة.